من ملامح الدرس الدلالي في سورة الأحزاب

د . أحمد الشناوي السيد حسن

مدرس أصول اللغة

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدمياط الجديدة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

قضايا الدلالة في لغتنا العربية كثيرة و متشعبة ، نظرا لمرونة ألفاظ اللغة وسعة دلالتها ، وأن الكلمات متسعة الدلالة ، وتقبل من المعاني الوجوه والنظائر الكثيرة ، والذي يعين المعنى ويحدده مفردات مجاورة للفظة مرتبطة بها في بيان معناها وتحديد دلالتها فكلام العرب يصحح بعضه بعضا ويرتبط أوله بآخره ، ولا يعرف المراد منه إلا باستيفاء أجزائه .

واستعمالات القرآن الكريم للمفردات اللغوية ميدان خصيب لدراسة دلالة مفردات اللغة والتعرف على معانيها التي يحددها السياق والواقع اللغوي الذي وقعت بينه المفردة اللغوية ، وعندما تأملت سورة الأحزاب وأعدت قراءتها مرة بعد مرة وجدتني أقف أمام عدة قضايا دلالية ، تمثلت في هذه السورة الكريمة ، فكان هذا البحث الذي وسمته بملامح الدرس الدلالي في سورة الأحزاب وقفت فيه مع عدة مباحث بعد تمهيد عن السورة الكريمة .

وكان المبحث الأول عن اختلاف الدلالة لاختلاف القراءة ، والمبحث الثاني عن الفروق الدلالية ، والمبحث الثالث عن أثر السياق في اختلاف الدلالة ،والمبحث الرابع عن التطور الدلالي ، ثم جاءت الوقفة مع نتائج تلك الدراسة التي كفاها شرفا وفخرا أنها تتصل بدستور المسلمين الأول : القرآن الكريم .

ووقعت هذه المباحث تحت المنهج الوصفي التحليلي للمفردات التي هي محل الدراسة كما سنبين من خلال عرضها في نظامها .

هذا وأدعو ربي جل وعلا أن يكتب لهذا البحث الرضا والقبول وأن يتجاوز عما وقع فيه من هنات وهفوات فلا يخلو بشر وعمل من نقص ، فأبى الكمال أن يكون إلا لله تعالى ، وأبت العصمة أن لا تكون إلا لرسله وأنبيائه، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

التمهيد:

حول سورة الأحزاب .

أولا : عدد آياتها وكلماتها .

ثانيا : سبب تسميتها .

ثالثا : مناسبة السورة لما قبلها .

رابعا : مقاصد السورة الكريمة .

التمهيد

حول سورة الأحزاب

أولا : عدد آياتها وكلماتها :

سورة الأحزاب سورة مدنية ، وهي خمسة آلاف وسبعمائة وتسعون حرفا، وألف ومائتان وثمانون كلمة ، وثلاث وسبعون آية. (١)

ثانيا : سبب تسمية السورة :

سميت سورة الأحزاب بهذا الاسم؛ لاشتمالها على حرب الأحزاب"(٢)

في قوله تعالى : " يَحۡسَبُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ يَسۡـَٔلُونَ عَنۡ أَنۢبَآئِكُمۡۖ وَلَوۡ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلٗا ٢٠"

ثالثا : مناسبتها لما قبلها :

هذه السورة الكريمة جاءت في الترتيب المصحفي بعد سورة السجدة، وبينهما مناسبة في الترتيب، يقول الإمام: البقاعي ت.(٨٨٥) هـ :

" لما ختمت التي قبلها (يقصد سورة السجدة) بالإعراض عن الكافرين، (يقصد في قوله تعالى في آخر سورة السجدة : "قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ

(١) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: الثعلبي،(ت: ٤٢٧هـ) تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة: نظير الساعدي ،ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان .ط: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م ص ٥/٨.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى تح :أ محمد علي النجار، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ص١ /٣٧٧.

لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَـٰنُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾ ") وانتظار ما يحكم به فيهم رب العالمين، بعد تحقيق: أنّ تنزيل الكتاب من عند المدبر لهذا الخلق كله، والنهي عن الشك في لقائه، افتتح هذه بالأمر بأسى ذلك، والنهي عن طاعة المخالفين ، مجاهرين كانوا أو متساترين ، والأمر بإتباع الوحي الذي أعظمه الكتاب تنبيها على أن الإعراض إنما يكون طاعة لله مع مراعاة تقواه "[1]

رابعا : مقاصد السورة الكريمة :

وهذه السورة الكريمة دارت حول عدة مقاصد ، أجملها العلامة: الفيروزابادي ت. (٨١٧) هـ . في بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، فيقول : "معظم مقصود السّورة الذى اشتملت عليه : الأَمر بالتَّقوى، وأَنه ليس في صدرٍ واحد قلبان، وأَنَّ المتبَنَّى ليس بمنزلة الابن، وأَنَّ النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – للمؤمنين بمكان الوالد، وأَزواجه الطاهرات بمكان الأُمهات، وأَخذ الميثاق على الأَنبياءِ، والسؤال عن صدق الصّادقين، وذكر حَرْبِ الأَحزاب، والشِّكاية من المنافقين، وذمّ المعرضين، ووفاء الرِّجال بالعهد، وردّ الكفَّار بغيظهم، وتخيير أُمّهات المؤمنين، ووعظهنَّ، ونصحهنَّ، وبيان شرف أَهل البيت الطَّاهرين ووعد المسلمين والمسلمات بالأُجور الوافرات، وحديث تزويج زيد وزينب ورفع الحَرَج عن النّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – وختم الأَنبياءِ به – عليه السّلام – والأَمر بالذكر الكثير" والصّلوات والتسليمات على المؤمنين، والمخاطبات الشريفة لسيِّدنا المصطفى – صلى الله عليه وسلَّم –، وبيان النكاح، والطَّلاق، والعدّة، وخصائص

---

١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ، ط : دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ، ص ١٥ ٢٧٤

النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – في باب النكاح، وتخييره في القَسْم بين الأَزواج والحَجر عليه في تبديلهنَّ، ونهي الصحابة عن دخول حُجْرة النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – بغير إِذن منه، وضَرْب الحجاب، ونهي المؤمنين عن تزوّج أَزواجه بعده، والموافقة مع الملائكة في الصلاة على النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – وتهديد المؤذين للنَّبي وللمؤمنين، وتعليم آداب النساءِ في خروجهن من البيوت، وتهديد المنافقين في إِيقاع الأَراجيف، وذلِّ الكفار في النار، والنَّهي عن إِيذاءِ الرّسول – صلَّى الله عليه وسلَّم – والأَمر بالقول السّديد وبيان عَرْض الأَمانة على السماوات والأَرض وعذاب المنافقين، وتوبة المؤمنين في قوله :"إِنَّا عَرَضْنَا الأمانة" إِلى آخر السّورة. (١)

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى . ص ١/ ٣٧٧، ٣٧٨.

مباحث الدراسة

المبحث الأول : اختلاف الدلالة لاختلاف القراءة .

المبحث الثاني : الفروق الدلالية .

المبحث الثالث : السياق وأثره في الدلالة .

المبحث الرابع : التطور الدلالي

المبحث الأول :

اختلاف الدلالة لاختلاف القراءة

تنوعت القراءات في سورة الأحزاب ، فنشأ عن هذا التنوع اختلاف في بعض دلالات الألفاظ ؛ لاختلاف قراءاتها .

ومما ورد من ذلك : قوله تعالى : "وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾"

يقول الدمياطي : "واختلف في "لا مُقَام" (الآية: ١٣) فحفص بضم الميم الأولى : اسم مكان من أقام ،أي: لا مكان إقامة ، أو مصدرا (ميميا) منه ،أي: لا إقامة، ...والباقون بالفتح : ...مصدر : قام أي: لا قيام أو اسم مكان منه ، أي: لا مكان"(١)

ويلاحظ أنه اختلفت دلالة كلمة : (مقام) ، فمن قرأها بالضم ، فهي اسم مكان ،يقصد مكان إقامة ، أو مصدر ميمي ، ومن قرأها بالفتح ، فهي مصدر بمعنى : قيام ،

يقول الزجاج في معاني القرآن : "ويقرأ " لاَ مَقَام لَكمْ " بفتح الميمِ، فمن ضم الميم ، فالمعنى لا إقامة لكم، تقول: أقمت في البَلَدِ إقامةً ومُقاماً، ومن قرأ لا مَقَام لكم– بفتح الميم، فالمعنى لا مكان لكم تقيمون فيه، وهؤلاء كانوا يُثَبِّطونَ المؤمنين عن النبي– صلى الله عليه وسلم–(٢)

---

١ الإتحاف :٤٥٢ .

٢) معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج : (ت: ٣١١هـ) تح: عبد الجليل عبده شلبي ط عالم الكتب ، بيروت ط: الأولى ١٤٠٨ هـ .١٩٨٨م ص٤/ ٢١٩

وعند قول الله تعالى:" وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ لَأٓتَوۡهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾"

" اختلف في "لأتوها" (الآية: ١٤) ، فنافع وابن كثير وابن ذكوان من طريق الصوري، وهي طريق سلامة بن هارون عن الأخفش وأبو جعفر بقصر الهمزة أي: بحذف الألف من الإتيان المتعدي لواحد بمعنى جاءوها، والباقون بمدها:(من)الإيتاء المتعدي لاثنين بمعنى أعطوها وتقدير المفعول الثاني السائل، وهي طريق عن ابن ذكوان،"[١].

فكلمة (آتوها) قرئت بمد الهمزة ، وحينئذ فمعناها : أعطوها ، مثل ما يقول إنسان لآخر : آتيتك المال ، أي : أعطيتك ، وقرئت بدون ألف بعد الهمزة ، وحينئذ ، فمعناها : جاء ، مثل ما نقول : أتيتك ، أي : جئتك .

يقول أبو إسحاق الزجاج :"(ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا)، ويقرأ بالقصر (لَأَتَوْهَا)، فمن قرأ (لَآتَوْهَا) بالمدِّ ، فالمعنى لأعطوها، أي لَوْ قِيلَ لَهمْ كُونوا على المسلمين مُظْهِرِينَ الفتنةَ لَفَعَلوا ذَلِكَ، (وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا).ومن قرأ (لَأَتَوْهَا) بالقصر، فالمعنى لَقَصدُوها"[٢]

وعند قول الله تعالى : "مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾"

في كلمة (خاتم) يقول البنا الدمياطي:" واختلف في "وَخَاتَمَ النَّبِيِّين" فعاصم بفتح التاء اسم للآلة كالطابع والقالب، وافقه الحسن، والباقون بكسرها اسم فاعل"[٣]

---

١) الإتحاف ٤٥٣

٢) معاني القرآن وإعرابه : ص ٤ / ٢٢٠

٣) الإتحاف: ٤٥٥ .

ومن ثم : فإن الكلمة اختلفت دلالتها باختلاف القراءة التي قرئت بها ، فهي اسم آلة ، أواسم فاعل ، ولكل صيغة دلالتها .

وعند قول الله تعالى : "رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٨﴾"

يقول ابن مجاهد :"قَرَأَ ابْن كثير وَأَبُو عَمْرو وَنَافِع وَحَمْزَة والكسائي {لعنا كَبِيرا} بالثاء ،وَقَرَأَ عَاصِم وَابْن عَامر {لعنا كَبِيرا} بِالْبَاء"(١)

وفي الإتحاف : "واختلف في "كثيرا"(الآية: ٦٨) فهشام من طريق الداجوني وعاصم بالباء الموحدة من الكبر أي: أشد اللعن أو أعظمه، وافقهما الحسن، والباقون بالمثلثة من الكثرة أي: مرة بعد أخرى،"(٢)

وقد أحسن أبو علي الفارسي في توجيه هذه القراءة ، حيث قال : "اختلفوا في الباء والثاء من قوله جلّ وعزّ: "لعنا كبيرا" (الأحزاب:٦٨) فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي: (لعنا كثيرا) بالثاء، وقرأ عاصم وابن عامر: كبيرا بالباء كذا في كتابي عن أحمد بن يوسف التغلبي عن ابن ذكوان (عن ابن عامر) ، ورأيت في كتاب موسى بن موسى عن ابن ذكوان عن ابن عامر بالثاء، وقال هشام بن عمّار عن ابن عامر بالثاء ، قال أبو علي: الكِبَر مثل العِظَم، والكبر وصف للّعن بالكبر، كالعظم، والكثرة أشبه بالمعنى، لأنّهم يلعنون مرّة:(بعد مرة)،

١) السبعة لابن مجاهد ٥٢٣ .

٢) الإتحاف : ٤٥٦ .

وقد جاء: "يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون"(البقرة:١٥٩)فالكثرة أشبه بالمرار المتكررة من الكبر"[١]

وهناك فرق بين الكبر ، والكثرة في الدلالة اللغوية ، يقول ابن فارس في مادة (ك ب ر): "الْكَافُ وَالْبَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الصِّغَرِ. يُقَالُ: هُوَ كَبِيرٌ، وَكُبَارٌ، وَكُبَّارٌ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا" (نوح: ٢٢) [٢]

وفي مادة: (ك ث ر) " الْكَافُ وَالثَّاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ (على) خِلَافَ الْقِلَّةِ. مِنْ ذَلِكَ :الشَّيْءُ الْكَثِيرُ، وَقَدْ كَثُرَ"[٣]

فالكِبَر يكون في الحجم ، والكثرة تكون في العدد ، وهذا يرجع إلى دقة اللغة ،

فكل مفردة لها معنى خاص بها ، حتى لو اشتركت في بعض الحروف مع المفردة الأخرى ،

نعم : قد تشترك الكلمتان في المعنى العام نظرا ؛ للاتفاق في معظم الحروف ، لكن كل مفردة لها معنى خاص بها ؛ لأنها خصت بحرف دون المفردة الأخرى ، وهو ما أشار إليه ابن جني في باب : تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني .

وعند قول الله تعالى : "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ٦٩"

---

١)الحجة للقراء السبعة: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي ت: (٣٧٧)هـ . تح: بدر الدين قهوجي – بشير جويجابي راجعه : عبد العزيز رباح – أحمد يوسف الدقاق ط دار المأمون للتراث – دمشق / بيروت ،ط: الثانية، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م ص ٤٨١/٥

٢) مقاييس اللغة لابن فارس : ٥ / ١٥٣ .(ك ث ر).

٣) السابق (ك ث ر).

أورد ابن جني في المحتسب : "ومن ذلك قراءة ابن مسعود: "وَكَانَ عَبْدًا لِلَّهِ وَجِيهًا" ، قال أبو الفتح: قراءة الكافة أقوى معنى من هذه القراءة، وذلك أن هذه إنما يُفْهَم منها أنه عبدٌ لله ، ولا تُفْهَم منها وجاهته عند مَن هي ؟ أعندَ الله ، أم عندَ الناس ؟ وأما قراءة الجماعة فإنها تفيد كون وجاهته عند الله ، وهذا أشرف من القول الأول ؛ لإسناد وجاهته إلى الله تعالى، وحسبه هذا شرفا"([1])

وكلمة:(عند) تختلف في دلالتها عن كلمة:(عبد) فالأولى: مقصود بها: الظرفية ، والثانية: مقصود بها : العبودية لله تعالى . وقد رجح ابن جني قراءة الجمهور " عند الله " كما اتضح من خلال كلامه السابق .

وأخيرا: فهذه نماذج تثبت أن اختلاف القراءة قد تؤدي إلى اختلاف الدلالة ، وورد هذا في حوالي خمس قراءات في سورة الأحزاب .

١) المحتسب ٢ / ١٨٥ .

المبحث الثاني: الفروق الدلالية

في هذا المبحث أحاول أن أؤكد على أن المفردات العربية التي يُظن أنها مترادفة ، يوجد بينها فروق في الدلالة ، حيث إن الترادف التام يصعب وجوده في اللغة العربية . وسوف أستدل على ذلك ببعض المفردات التي وردت في سورة الأحزاب . مبينا معناها ، ومعنى ما يقاربها في دلالتها .

فمن المجمع عليه: أن المفردات القرآنية لا يصلح أن توضع واحدة منها مكان الأخرى ، فمثلا ،لا يمكن وضع كلمة (شك) مكان كلمة (ريب) في قوله تعالى في سورة البقرة : (ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢) وتؤدي المعنى نفسه ، بل كل كلمة لها معنى خاص بها، وإن اشتركتا في المعنى العام . حيث إن الريب معناه : الشك المصحوب بالخوف ، يقول ابن فارس : "الرَّاءُ وَالْيَاءُ وَالْبَاءُ أُصَيْلٌ يَدُلُّ عَلَى شَكٍّ، أَوْ شَكٍّ وَخَوْفٍ،.."[١]

وكثير من العلماء في القديم والحديث ، تحفظوا على وجود الترادف في اللغة العربية : الذي يعني كما قال السيوطي : " قال الإمام فخرُ الدين: هو الألفاظ المفردةُ الدالة على شيء واحد باعتبارٍ واحد."[٢]

ومن هؤلاء العلماء الذين تحفظوا على وجود الترادف في العربية : العلامة : ابن فارس ، حيث يقول في كتابه : الصاحبي في فقه العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها : " يُسمَّى الشيئان المختلفان بالاسمين المختلفين، وذلك أكثر الكلام كرَجُل وفرس، وتسمى

---

١) مقاييس اللغة (ر ي ب) ٢ / ٤٦٣

٢) المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ، تح: فؤاد علي منصور ،ط : دار الكتب العلمية – بيروت ، الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م ص ١ /٣١٦

الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد، نحو: "عين الماء" و"عين المال" و"عين السحاب" ويسمى الشيء الواحد بالأَسماء المختلفة. نحو: "السيف والمهنّد والحسام"(١).

والذي نقوله فِي هَذَا: إن الاسم واحد وهو "السيف" وَمَا بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى. وَقَدْ خالف فِي ذَلِكَ قوم ، فزعموا أنها وإن اختلفت ألفاظها ، فإنها ترجع إِلَى معنى واحد. وذلك قولنا : "سيف وعضب وحُسام" وقال آخرون: لَيْسَ منها اسم ولا صفة إِلاَّ ومعناه غيرُ معنى الآخر. قالوا: وكذلك الأفعال. نحو: مضى وذهب وانطلق. وقعد وجلس. ورقد ونام وهجع. قالوا: ففي "قعد" معنى لَيْسَ فِي "جلس" وكذلك القول فيما سواهُ. وبهذا نقول، وهو مذهب شيخنا أبي العباس أحمد بن يحيى :ثعلب.

واحتجُ أصحاب المقالة الأولى بأنه: لو كَانَ لكلّ لفظة معنىً غير معنى الأُخرى لما أمكن أن يعبّر عن شيء بغير عبارته. وذلك أنّا نقول فِي "لا ريب فِيهِ": "لا شك فِيهِ" فلو كَانَ "الرَّيْب" غير "الشَّكّ" لكانت العبارة عن معنى الرّيب بالشك خطأ. فلما عُبّرَ عن هَذَا بهذا علم أن المعنى واحد، قالوا: وإنما يأتي الشعر بالاسمين المختلفين للمعنى الواحد فِي مكان واحد تأكيداً ومبالغة. كقولهم :

وهند أتى من دونها النأيُ والبُعدُ(١)

فقالوا: فالنأي هو البعد ، قالوا: وكذلك قول الآخر: إن الحبس هو الأصْرُ. ونحن نقول: إن فِي قعد معنىً ليس فِي جلس. ألا ترى أَنَّا نقول: "قام ثُمَّ قعد" و" أَخَذَهُ المقِيمُ والمقعِدَ" و"قَعَدَتِ المرأة عن الحيض".

١) بيت للحطيئة ، أوله : ألا حبذا هند وأرض بها هند ينظر ديوان الحطيئة تح / نعمان أمين طه القاهرة ١٣٧٨ هـ .القصيدة ٣٨ ص ١٤٠ من قصيدة يمدح بها بني سعد .

ونقول لناس من الخوارج :"قَعَدٌ" ثُمَّ نقول: "كَانَ مضطجعاً فجلس" فيكون القعود عن قيام ، والجلوس عن حالة هي دون الجلوس لأن "الجَلْسَ: المرتفع" فالجلوس :ارتفاع عما هو دونه. وَعَلَى هَذَا يجري الباب كلُّه.، وأما قولهم: إن المعنيين لو اختلفا لما جاز أن يُعَبَّر عن الشيء بالشيء. فإنا نقول: إنّما عُبّر عنه من طريق المشاكلة، ولسنا نقول إن اللفظتين مختلفتان، فيلزمنا مَا قالوه. وإنما نقول إن فِي كلّ واحدة منهما معنىً لَيْسَ فِي الأخرى"[1]

ويستفاد من هذا الكلام أيضا أن أستاذه : ثعلبا (ت : ٢٩١) هـ . ينكر وقوع الترادف المطلق والكامل في اللغة العربية .

ولقد عالج ابن فارس قضية عدم وجود الترادف الكامل بين الألفاظ معالجة كاملة ، حيث استدل بأن هذه الكلمات التي تطلق على الشيء الواحد أغلبها صفات له ، وكل صفة فيها دلالة تختلف عن الصفة الأخرى، وأيضا لا نستطيع أن نضع مفردة مكان مفردة مقاربة لها في الدلالة في القرآن الكريم .

ويقول إن ما ورد من الكلمة ومرادفها في مكان واحد من الشعر، أو تفسير الكلمة بما يقاربها أو يوازيها في المعنى إنما هذا على سبيل المشاكلة فقط ، وليس المساواة الكاملة في الدلالة .

ويبعد أن تجد لفظتين بمعنى واحد تماما في لهجة واحدة ، ومن الذين أنكروا وجود الترادف : أبو علي الفارسي ، يقول السيوطي : " وقال العلامة: عز الدين بن جماعة في شرح جمع الجوامع: حكى الشيخ القاضي أبو بكر بن العربي بسنده عن أبي علي الفارسي قال: كنتُ بمجلس سيف الدولة بحلَب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة ، وفيهم ابن

١) الصاحبي لابن فارس: الناشر: محمد علي بيضون ط:الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م ص٦٠

خالويه ، فقال ابن خالويه : أحفظ للسيفِ خمسين اسما ، فتبسم أبو علي ، وقال: ما احفظ له إلا اسما واحدا وهو السيف. قال ابن خالويه: فأين المُهَنَّد والصَّارِم وكذا وكذا ، فقال أبو علي: هذه صفات ، وكأن الشيخ لا يفرقُ بين الاسْمِ والصِّفة"[١]

وللحق فإن هناك من القدماء من يؤيد وقوع الترادف في اللغة ، ومنهم: ابن خالويه وسيبويه والأصمعي وغيرهم ، يقول سيبويه في الكتاب: "واعلم أن من كلامهم: اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين "[٢]

ومنهم: التاج السبكي ، ينقل عنه السيوطي قوله:" وقال التاج السبكي في شرح المنهاج: ذهب بعضُ الناس إلى إنكار المترادف في اللغة العربية وزعم أن كلَّ ما يُظن من المترادفات فهو من المتباينات التي تتباين بالصفات كما في الإنسان والبشر ، فإن الأول موضوع له باعتبار النسيان أو باعتبار أنه يُؤْنِس والثاني باعتبار أنه بادي البشرة. وكذا الخندريس ، العقار ، فإن الأول باعتبار العتق ، والثاني باعتبار عَقْر الدَّنِّ لِشدَّتها. وتكلَّف لأكثر المترادفات بمثلِ هذا المقال العجيب."[٣]

هذا راي القدماء وهم بين مؤيد ومعارض ، لكن أكاد المح أنهم يثبتون الترادف الذي فيه نوع من المشاكلة والمجاز بين الكلمات المترادفات ، وخاصة أن منهم من كان مولعا بالفروق الدلالية بين المفردات ، وأفردوا لها مؤلفات تشهد بعظمة هذه اللغة ودقتها ، ومن الذين ألفوا في الفروق الدلالية: الأصمعي :(٢١٦)هـ .. وثابت بن أبي ثابت البناني، والعلامة : قطرب: محمد بن المستنير (٢١٠)هـ ،

---

١) المزهر ١ / ٣١٨

٢) الكتاب لسيبويه ط / بولاق ١٣١٦ ١٣١٧ ص ١ / ٧

٣) المزهر ١ / ٣١٨ .

والسجستاني: (٢٥٥) هـ . ، وأبو هلال العسكري (٣٩٥)هـ . وابن فارس (٣٩٥) هـ . وأبو البقاء الكفوي في كتابه : الكليات (١٠٩٤)هـ .وغيرهم .وهذه كتب مطبوعة وموجودة في المكتبة العربية .

وبالنسبة لموقف المحدثين من علماء فقه اللغة ، يقول الدكتور : رمضان عبدالتواب : " ورغم ما يوجد بين لفظة مترادفة وأخرى ، من فروق أحيانا ، فإننا لا يصح أن ننكر الترادف مع من أنكره جملة ، فإن إحساس الناطقين باللغة ، كان يعامل هذه الألفاظ معاملة الترادف ؛ فنراهم يفسرون اللفظة منها بالأخرى ، كما روي عن أبي زيد الأنصاري أنه قال : " قلت لأعرابي : ما المحبنطئ ؟ قال : المتكـــأكئ. قال : قلت : ما المتكأكئ؟ فقال : المتآزف . قال : قلت : ما المتآزف ؟ قال : أنت أحمق " وكما روي عن المازني أنه قال : " سمعت أبا سوار الغنوي : يقرأ : " وإذ قتلتم نسمة فادارأتم فيها" ، فقلت له : إنما هو (نفس) ، فقال : النسمة والنفس واحد " [١]

ويقول الدكتور أحمد الجزار : " والقول الفصل في ظاهرة الترادف : أننا نلاحظ حقيقة ورود لفظين ، أو عدة ألفاظ بمعنى واحد ، أي أن الترادف في لغتنا موجود ، لا يمكن إنكاره ، ومع أنه موجود ، لكنه يمكن أن يثار تساؤل في مدى وجوده ، فلقائل أن يقول : ما نسبة وجود الترادف ؟ أو ما مدى وجوده ؟ والإجابة على هذا التساؤل لا يمكن أن تكون حقيقة إلا إذا بُنيت على دراسة إحصائية استقرائية لما

١) فصول في فقه العربية د. رمضان عبد التواب ط / الخانجي بالقاهرة ط / السادسة ١٤٢٠هـ . ١٩٩٩م . ص ٣١٥ ، ٣١٦ .

ورد من ألفاظ اللغة متحد المعنى ، ولعل الله –عز وجل – يهيئ من الظروف ما يعين على هذه الدراسة "[١]

واشترط بعض اللغويين المحدثين عدة شروط لكي نقول بالترادف الكامل بين الكلمتين ، وهي : الاتفاق في المعنى بين الكلمتين اتفاقا تاما والاتحاد في البيئة اللغوية ، والاتحاد في العصر ، وألا يكون أحد اللفظين نتيجة تطور صوتي للفظ الآخر [٢]

والذي تطمئن نفسي إليه: أن الترادف الكامل بين المفردات يصعب وقوعه ، ولا ينكر أحد أنه يوجد ما يمكن أن يطلق عليه شبه الترادف الذي جعل المتكلم :(الشاعر والناثر) بالتحديد يختار من المفردات ما يتناسب مع وزنه ورويه وسجع الجمل التي يأتي بها.

وفيما يلي أعرض لبعض المفردات في سورة الأحزاب ؛ لأبين معناها ومعنى ما يقاربها في الدلالة ؛ للتعرف على دقة اختيار المفردات في القرآن الكريم ، وأنه لا يمكن وضع مفردة مكان أخرى ، حتى ولو اقتربت منها جدا في الدلالة ؛ وللتدليل على دقة لغتنا العربية وعظمتها في تحديد المعاني للكلمات .

أولا : السبيل – الطريق – الصراط :

كلمة : السبيل وردت في قول الله تعالى في سورة الأحزاب : " وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِى ٱلسَّبِيلَ ۝٤"

وورد ما يقاربها في المعنى في آيات قرآنية أخرى من القرآن الكريم ، مثل كلمة : الطريق ، وكلمة : الصراط .

---

١) دراسات في فقه اللغة أ د / أحمد إبراهيم الجزار ،د . ت ص ٢٤ .

٢) ينظر في اللهجات العربية د إبراهيم أنيس ط الأنجلو ط ٢٠٠٣م،ص ١٥٤،١٥٥ بتصرف .

كلمة الطريق جاءت في قوله تعالى: " فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا "(طه : ٧٧)

وكلمة الصراط – على سبيل المثال – وردت في قوله تعالى في سورة الشورى: "وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور "(الشورى : ٥٢ –٥٣)

ولا شك في أن بين هذه الكلمات فروقا في دلالتها ، يقول أبو هلال العسكري : "إن الصِّرَاط هُوَ الطَّرِيق السهل، قَالَ الشاعر من الوافر:

حشونا أَرضهم بِالْخَيْلِ حَتَّى ... تركناهم أذلّ من الصِّرَاط

وَهُوَ من الذل خلاف الصعوبة ، وَلَيْسَ من الذل خلاف الْعِزّ ، وَالطَّرِيق لَا يَقْتَضِي السهولة ، والسبيل : اسْم يَقع على مَا يَقع عَلَيْهِ الطَّرِيق ، وعَلى مَا لَا يَقع عَلَيْهِ الطَّرِيق ، تَقول :سَبِيل الله وَطَرِيق الله ، وَتقول : سبيلك أَن تفعل كَذَا ، وَلَا تَقول طريقك أَن تفعل كَذَا ، وَيُرَاد بِهِ سَبِيل مَا يَقْصِدهُ فيضاف إِلَى القاصد ، وَيُرَاد بِهِ الْقَصْد ، وَهُوَ كالمحبة فِي بَابه ، وَالطَّرِيق كالإرادة"([1])

وواضح من خلال هذا النص أن كلمة السبيل : تستعمل في استعمالات لا يمكن أن تستعمل فيها كلمة الطريق أو الصراط ، وهذا يوضع الفرق الدلالي بين هذه المفردات العربية .

فأكثر استعمالات كلمة الطريق تستخدم في المعنى الحقيقي ، مثل هذه الآية التي معنا ، واستعمال الصراط ، والسبيل في المعنى

---

١) الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري(ت: نحو ٣٩٥هـ) تح: محمد إبراهيم سليم ط: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر ص:٢٩٨ .

الحقيقي والمجازي ، ومن ذلك : الصراط الذي يجوز عليه الناس يوم القيامة ، وصراط الله عز وجل، وكلمة : ابن السبيل ، وفي سبيل الله ، وهذا ما يفهم من كلام أبي هلال العسكري . ويفهم كذلك أن دلالة كلمة السبيل أعم من دلالة : الطريق والصراط .

الزلزلة – الرجفة :

استعمل القرآن الكريم هاتين المفردتين في كثير من آياته بهذه البنية نفسها وبمشتقات بعضهما ، ومن ذلك في سورة الأحزاب :

" هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالاً شَدِيدًا ﴿١١﴾ "

وقال تعالى في مفتتح سورة الحج : " يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾"

ويقول تعالى في سورة الأحزاب : " لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلاً ﴿٦٠﴾ "

ويقول تعالى في سورة الأعراف:"فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾)

ومعروف أن زلزلوا من الزلزلة ، ومرجفون من الرجفة ، والفرق بين الزلزلة والرجفة : "الرجفة : الزلزلة العظيمة ، ولهذا يقال : زلزلت الأرض زلزلة خفيفة ، ولا يقال : رجفت ، إلا إذا زلزلت زلزلة شديدة ، وسميت زلزلة الساعة : رجفة ؛ لذلك ، ومنه : الإرجاف

،وهو الإخبار باضطراب أمر الرجل ، ورجف الشيء :إذا اضطرب ، يقال : رجفت منه : إذا تقلقلت "[١]

يقول ابن فارس في التأصيل لمادة (ر ج ف) "الرَّاءُ وَالْجِيمُ وَالْفَاءُ: أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى اضْطِرَابٍ. يُقَالُ رَجَفَتِ الْأَرْضُ وَالْقَلْبُ. وَالْبَحْرُ رَجَّافٌ؛ لِاضْطِرَابِهِ. وَأَرْجَفَ النَّاسُ فِي الشَّيْءِ، إِذَا خَاضُوا فِيهِ وَاضْطَرَبُوا"[٢]

وفي معنى الزلزلة يقول :"وَتَزَلْزَلَتِ الْأَرْضُ: اضْطَرَبَتْ، وَزُلْزِلَتْ زِلْزَالًا."[٣]

وعلى هذا فالرجفة: الزلزلة الشديدة ، ومعناها أقوى من الزلزلة ، واستعملت الرجفة في مواضع من القرآن ، ويلحظ فيها معنى الشدة والقوة ، مثل هذا الموضع الذي في سورة الأعراف . ولا يمكن أن يوضع مكانه لفظ الزلزلة ؛ لأنه لا يؤدي المعنى نفسه .

النعمة – الهبة – المِنّة :

وردت كلمة النعمة في قوله تعالى في سورة الأحزاب : " يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ب... ﴿٩﴾"

ومن الألفاظ التي تقارب هذه اللفظة في الدلالة: الهبة، والمنة ، ولقد وقع في القرآن الكريم اشتقاقات كثيرة لهاتين الكلمتين ومن ذلك في سورة الأحزاب قوله تعالى:"وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ ... ﴿٥٠﴾"

واستعمالات أخرى كثيرة في كتاب الله تعالى لهاتين الكلمتين .

---

١) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري تح: حسام الدين القدسي ط / دار زاهد القدسي د . ت ص ٢٤٩ .

٢) مقاييس اللغة (ر ج ف) ٢ /٤٩١ .

٣) السابق : (زل) ٣ / ٤ .

ولا شك أن هناك فرقا دلاليا بين الكلمتين ، يقول ابن فارس في(ن ع م) :

"النُّونُ وَالْعَيْنُ وَالْمِيمُ فُرُوعُهُ كَثِيرَةٌ، وَعِنْدَنَا أَنَّهَا عَلَى كَثْرَتِهَا رَاجِعَةٌ إِلَى أَصْلٍ وَاحِدٍ يَدُلُّ عَلَى تَرَفُّهٍ وَطِيبِ عَيْشٍ وَصَلَاحٍ. مِنْهُ النِّعْمَةُ: مَا يُنْعِمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عَبْدِهِ بِهِ مِنْ مَالٍ وَعَيْشٍ. يُقَالُ: لِلَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ نِعْمَةٌ. وَالنِّعْمَةُ: الْمِنَّةُ، وَكَذَا النَّعْمَاءُ. وَالنَّعْمَةُ: التَّنَعُّمُ وَطِيبُ الْعَيْشِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ" (الدخان:٢٧) . وَالنُّعَامَى: الرِّيحُ اللَّيِّنَةُ. وَالنَّعَمُ: الْإِبِلُ، لِمَا فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ وَالنِّعْمَةِ."[١]

وأبو هلال العسكري يفرق بين الكلمتين ،فيقول : "إن النِّعْمَة مضمنة بالشكر ؛ لِأَنَّهَا لَا تكون إِلَّا حَسَنَة ، وَقد تكون الْهِبَة قبيحة بِأَن تكون مَغْصُوبَة"[٢]

وفي معنى الهبة : يقول الراغب الأصفهاني :

"الهِبَةُ: أن تجعل ملكك لغيرك بغير عوض. يقال: وَهَبْتُهُ هِبَةً ومَوْهِبَةً ومَوْهِباً. قال تعالى: "وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ"(الأنبياء : ٧٢)[٣]

وفي معرض حديثه عن دلالة النعمة قال عن مصدرها:" والإِنْعَامُ: إيصالُ الإحسانِ إلى الغَيْرِ، ولا يقال إلّا إذا كان المُوصَلُ إليه من جِنْسِ النَّاطِقِينَ، فإنه لا يقال أَنْعَمَ فلانٌ على فَرَسِهِ. قال تعالى: "أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ" (الفاتحة:٧) ، "وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ"(الأحزاب : ٣٦)[٤]

وفرق بين المنة والنعمة ، حيث قال عن المنة إنها النعمة الثقيلة،

---

١) مقاييس اللغة ص (ن ع م)٥ /٤٤٦.

٢) الفروق اللغوية للعسكري تح / محمد إبراهيم سليم ص ١٦٨ .

٣) المفردات (و هـ ب) ١ / ٨٤٤ .

٤) المفردات (ن ع م) ١ / ٨١٥ .

يقول : "والمِنَّةُ: النّعمة الثّقيلة، ويقال ذلك على وجهين: أحدهما: أن يكون ذلك بالفعل، فيقال: منَّ فلان على فلان: إذا أثقله بالنّعمة، وعلى ذلك قوله: لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ(آل عمران: ١٦٤) ، كَذلِكَ "كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ"(النساء:٩٤)"وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلى مُوسى وَهارُونَ"(الصافات:١١٤) "يَمُنُّ عَلى مَنْ يَشاءُ"(إبراهيم:١١) ، "وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا"(القصص:٥) ، وذلك على الحقيقة لا يكون إلّا لله تعالى. والثاني: أن يكون ذلك بالقول، وذلك مستقبح فيما بين الناس إلّا عند كفران النّعمة، ولقبح ذلك قيل: المِنَّةُ تهدم الصّنيعة"[١]

والفرق بين الهبة والنعمة والمنة واضح في كلام الراغب ، من خلال استشهاده بآيات القرآن الكريم التي سبقت .

الشح – البخل – الضن :

يقول تعالى : " أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾"

لفظ : أشحة : جمع لكلمة : شحيح ، وهذه الكلمة يقاربها في الدلالة كلمة : البخيل . والضنين ،ولا شك أن بين هذه الكلمات فروقا في الدلالة ، حيث وردت في استعمالات القرآن ،

ورد استعمال من مادة (ب خ ل) في قوله تعالى في سورة: آل عمران:"وَلا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا

١) المفردات (م ن ن) ١ / ٧٧٧ .

هَٰٓؤُمۡ ۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٨٠"

وفي سورة الليل يقول تعالى : "وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨"

ومن استعمالات مادة (ض ن ن) قوله تعالى في سورة التكوير:

"وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ٢٤"ولم يرد لهذه الكلمة استعمال آخر غير هذا الاستعمال في القرآن الكريم .

أولا : الفرق بين البخل والضن :

يقول أبو هلال العسكري مبينا الفرق بين البخل والضن :

"إن الضن أَصله أَن يكون بالعواري (يقصد: جمع عارية) ، وَالْبخل بالهبات ؛ وَلِهَذَا تَقول : هُوَ ضنين بِعِلْمِهِ ، وَلَا يُقَال بخيل بعلمه ؛ لِأَن الْعلم أشبه بالعارية مِنْهُ بِالْهبةِ ، وَذَلِكَ أَن الْوَاهِب إِذا وهب شَيْئا ، خرج من ملكه ، فَإِذا أعار شَيْئا لم يخرج من أَن يكون عالما بِهِ ، فَأشبه الْعلم الْعَارِية ، فَاسْتعْمل فِيهِ من اللَّفْظ مَا وضع لَهَا ، وَلِهَذَا قَالَ الله تَعَالَى (وَمَا هُوَ على الْغَيْب بضنين) وَلم يقل ببخيل ".(١)

وهذا يعني أن هناك فرقا بين البخل والضن ، حيث إن الضن هو البخل بما يطلب منك إعارته ، ويكون عندك مثله ، والبخل : هو إمساك الأشياء حتى لا تفقدها ، لأن الهبة تعطيها غيرك ، فتفقد ذاتها .

يقول الراغب الأصفهاني في التأصيل لكلمة البخل : " البُخْلُ: إمساك المقتنيات عمّا لا يحق حبسها عنه، ويقابله الجود، يقال: بَخِلَ فهو بَاخِلٌ، وأمّا البَخِيل فالذي يكثر منه البخل، كالرحيم من الراحم.،

١) الفروق اللغوية : ص ١٧٦ .

والبُخْلُ : ضربان: بخل بقنيات نفسه، وبخل بقنيات غيره، وهو أكثرها ذمّا، دليلنا على ذلك قوله تعالى: "الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ" (النساء: ٣٧)"[١]

ويقول في (ضنن) : " والضَّنَّةُ هو البخل بالشيء النّفيس،"[٢]

ويقصر الراغب الضن بأنه عدم الجود بالشيء النفيس .

وعلى أية حال ، فإن هناك فرقا بين الكلمتين ، وليس بينهما اتفاق كامل في معنييهما ، ولذا عبر القرآن الكريم بهما ، ولا يمكن إحلال كلمة مكان أخرى ، لتؤدي المعنى نفسه .

ثانيا : الفرق بين الشح والبخل:

وبالنسبة للفرق بين الشح والبخل ، يقول أبو هلال العسكري:

"إن الشُّح : الْحِرْص على منع الْخَيْر ، وَيُقَال : زند شحاح ، إِذا لم يور نَارا ، وَإِن شح عَلَيْهِ الْقِدح ، كَأَنَّهُ حَرِيص على منع ذَلِك ، وَالْبخل : منع الْحق ، فَلَا يُقَال لمن يُؤَدِّي حُقُوق الله تَعَالَى بخيل"(٣)

وهنا يذكر أبو هلال أن الضن هو البخل بالعارية التي عند الإنسان ، والبخل يكون بالهبات ، التي وهبها الله عز وجل له ، والشح هو : الحرص على منع الخير .

وقد ذكر الراغب الأصفهاني كلاما طيبا في الفرق بين هذه المفردات:

يقول :"البُخْلُ: إمساك المقتنيات عمّا لا يحق حبسها عنه، ويقابله الجود، يقال: بَخِلَ فهو بَاخِلٌ، وأمّا البَخِيل فالذي يكثر منه البخل، كالرحيم من الراحم. والبُخْلُ ضربان: بخل بقنيات نفسه، وبخل بقنيات

١ المفردات (ب خ ل) ١٠٩ .

٢) السابق (ض ن)٥١٣ ..

٣) الفروق اللغوية : ص ١٧٦ .

غيره، وهو أكثرها ذمّا، دليلنا على ذلك قوله تعالى: الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ "(١)(النساء:٣٧) .

ويقول في المراد بالشح:"الشُّحُّ: بخل مع حرص، وذلك فيما كان عادة. قال تعالى: وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ (النساء:١٢٨)،وقال سبحانه:"وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ" (الحشر:٩)،يقال:رجل شَحِيحٌ، وقوم أَشِحَّةٌ، قال تعالى: "أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ"(الأحزاب: ١٩) ، "أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ"(الأحزاب: ١٩) . ..."(٢)

ويقول في معنى الضنين :قال تعالى: "وَما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ"(التكوير:٢٤) ، أي: ما هو ببخيل، والضَّنَّةُ هو البخل بالشيء النّفيس، ولهذا قيل: عِلْقُ مَضَنَّةٍ ومَضِنَّةٍ، وفلانٌ ضِنِّي بين أصحابي، أي: هو النّفيس الذي أَضِنُّ به، يقال : ضَنَنْتُ بالشيء ضَنّاً وضَنَانَةً، وقيل: ضَنِنْتُ "(٣)

ومن ثم يتضح أن هناك فروقا في الدلالة بين هذه المفردات التي يظن أنها مترادفة ، ونص على ذلك أئمة اللغة .

<u>اللمس – المس</u> :

جاء في سورة الأحزاب قول الله تعالى : "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾"

---

١)المفردات للراغب الأصفهاني ، تح: صفوان عدنان الداودي ط: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت ط /: الأولى – ١٤١٢ هـ . (ب خ ل) ص ٥١٢ .

٢)السابق : (ش ح ح) ص ٤٤٦

٣) المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ) تح: صفوان عدنان الداودي ط: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت ط : الأولى – ١٤١٢ هـ . ص ٥١٢.

وكلمة المس هنا يقاربها في الدلالة : كلمة اللمس ، وقد وردت في قوله تعالى في سورة المائدة :"أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ ۝٦"

وقد فرق أبو هلال العسكري بين الكلمتين في الدلالة : يقول :"إن اللَّمْس يكون بِالْيَدِ خَاصَّة ؛ ليعرف اللين من الخشونة، والحرارة من الْبُرُودَة، والمس بِالْيَدِ وبالحجر وَغير ذَلِك ، وَلَا يَقْتَضِي أَن يكون بِالْيَدِ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى : (مستهم البأساء)(البقرة:٢١٤) وَقَالَ :(وَإِن يمسك الله بضر)(الأنعام: ٧١) ، وَلم يقل يلمسك"([1])

ويفهم من كلام أبي هلال : أن المس أعم في الدلالة من اللمس ؛ لأن اللمس لا يكون إلا باليد ، ولقد فرق بينهما الراغب في مفردات القرآن ، يقول :" المسّ كاللّمس لكن اللّمس قد يقال لطلب الشيء وإن لم يوجد، كما قال الشاعر:

وألمسه فلا أجده

والمسّ يقال فيما يكون معه إدراك بحاسّة اللّمس، وكنّي به عن النكاح، فقيل: مسّها وماسّها، قال تعالى: "وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَ (البقرة:٢٣٧) ، وقال :"لا جُناحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّساءَ ما لَمْ تَمَسُّوهُنَّ" (البقرة:٢٣٦) ، وقرئ: "ما لم تماسّوهنّ" وقال: "أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ"(آل عمران:٤٧) والمسيس: كناية عن النّكاح، وكنّي بالمسّ عن الجنون. قال تعالى: "الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ مِنَ الْمَسِّ"(البقرة:٢٧٥) والمسّ يقال في كلّ ما ينال الإنسان من أذى. نحو قوله: "وَقالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً"(البقرة:٨٠)وقال:" مَسَّتْهُمُ الْبَأْساءُ وَالضَّرَّاءُ"(البقرة:٢١٤)وقال: "ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ"(القمر:٤٨)"مَسَّنِيَ

١) الفروق لأبي هلال العسكري ص / ٣٠٣ .

الضُّرُّ"(الأنبياء:٨٣)،"مَسَّنِيَ الشَّيْطانُ"(ص:٤١)"مَسَّتْهُمْ إِذا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آياتِنا"(يونس:٢١)"وَإِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ" (الإسراء/ ٦٧)(.[١])

ومن ثم : فالمس أعم في الدلالة من اللمس ، حيث يستعمل في المحسوسات والمعنويات ، كما يفهم من كلام العسكري والأصفهاني .

الإقبال – المجيء – الإتيان :

ورد الفعل: (جاء) في قوله تعالى : "إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾"

وهذا يقاربه في الدلالة : الفعل : أقبل ، والفعل : أتى ، ويقول صاحب الفروق اللغوية : "إن الإقبال : الْإِتْيَان من قبل الْوَجْه ، والمجيء: إتْيَان من أَي وَجه كَانَ"([٢])

ويؤكد هذا المعنى الذي ذكره أبو هلال : ما جاء في هذه الآية ، حيث كان المجيء من جهات متعددة .

وفي الفرق بين جاء وأتى ، يقول الراغب الأصفهاني : " جاء يجيء ومَجِيئا، والمجيء : كالإتيان، لكن المجيء أعمّ ، لأنّ الإتيان مجيء بسهولة، والإتيان قد يقال باعتبار القصد ، وإن لم يكن منه الحصول، والمجيء يقال اعتبارا بالحصول، ويقال : جاء : في الأعيان والمعاني، ولما يكون مجيئه بذاته ، وبأمره، ولمن قصد مكانا أو عملا أو زمانا، قال الله عزّ وجلّ: "وَجاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعى "(يس: ٢٠)"وَلَقَدْ جاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّناتِ "(غافر: ٣٤)"وَلَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ

١) المفردات للراغب الأصفهاني ص ٧٦٦ ، ٧٦٧ .

٢) الفروق ص٣٠٦ .

"(هود: ٧٧)" فَإِذا جاءَ الْخَوْفُ"(الأحزاب:١٩)"إِذا جاءَ أَجَلُهُمْ" (يونس: ٤٩)"بَلى قَدْ جاءَتْكَ آياتِي "(الزمر:٥٩)"فَقَدْ جاؤوا ظُلْماً وَزُوراً "(الفرقان:٤)أي: قصدوا الكلام وتعمدّوه، فاستعمل فيه المجيء كما استعمل فيه القصد، قال تعالى: "إِذْ جاؤُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ "(الأحزاب:١٠) "وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا"(الفجر:٢٢) ، فهذا بالأمر لا بالذات، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه ، وكذا قوله تعالى: فَلَمَّا جاءَهُمُ الْحَقُّ (يونس:٧٦) يقال: جاءه بكذا وأجاءه، قال الله تعالى:" فَأَجاءَهَا الْمَخاضُ إِلى جِذْعِ النَّخْلَةِ "(مريم:٢٣) ، قيل: ألجأها، وإنما هو معدّى عن جاء، ....وجاء بكذا: استحضره، نحو: "لَوْلا جاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ "(النور:١٣)، "وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ "(النمل/ ٢٢) وجاء بكذا يختلف معناه بحسب اختلاف المجيء به."[١]

وذكر الراغب استعمالات (أتى) في موضع آخر فيقول : "الإتيان: مجيء بسهولة، ومنه قيل للسيل المارّ على وجهه: أَتِيّ وأَتَاوِيّ .....، والإتيان يقال للمجيء بالذات وبالأمر وبالتدبير، ويقال في الخير وفي الشر وفي الأعيان والأعراض، نحو قوله تعالى: إِنْ أَتاكُمْ عَذابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ(الأنعام:٤٠)وقوله تعالى: "أَتى أَمْرُ اللَّهِ"(النحل:١) ، وقوله: "فَأَتَى اللَّهُ بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ "(النحل: ٢٦) ، أي: بالأمر والتدبير، نحو: "وَجاءَ رَبُّكَ"(الفجر:٢٢)"فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِها "(النمل:٣٧)، وقوله: "لا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسالى" (التوبة/ ٥٤) ، أي: لا يتعاطون، وقوله:" يَأْتِينَ الْفاحِشَةَ "(النساء: ١٥)، وفي قراءة عبد الله:(تأتيا الفاحشة) فاستعمال الإتيان منها كاستعمال المجيء في قوله: "لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا"(مريم:٢٧)

١) المفردات ص ٢١٢ ، ٢١٣ .

.يقال: أتيته وأتوته ، ويقال للسقاء إذا مخض وجاء زبده: قد جاء أَتوُه، وتحقيقه : جاء ما من شأنه أن يأتي منه، فهو مصدر في معنى الفاعل."[١]

وهكذا ثبت بالبحث وجود فروق دلالية دقيقة بين هذه الألفاظ ، فليست هذه الكلمات بمعنى واحد تماما ، كما قد يحسب البعض .

الزيغ – الميل :

قال تعالى في سورة الأحزاب: "إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾)

زاغت من الزيغ ، وقريب منه: الميل ، وقد استعمل القرآن الكريم اشتقاقات كثيرة من هاتين الكلمتين – كما سيأتي – ويلمح من تأصيل الراغب للمادتين الفرق بينهما . يقول في مادة : (ز و غ) :

"الزَّيْغُ: الميل عن الاستقامة، والتَّزَايُغُ : التمايل، ورجل زَائِغٌ، وقوم زَاغَةٌ، وزائغون، وزاغت الشمس، وزَاغَ البصر، وقال تعالى: "وَإِذْ زاغَتِ الْأَبْصارُ"(الأحزاب:١٠) ، يصحّ أن يكون إشارة إلى ما يداخلهم من الخوف حتى أظلمت أبصارهم، ويصحّ أن يكون إشارة إلى ما قال: "يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ"(آل عمران:١٣)،وقال: "ما زاغَ الْبَصَرُ وَما طَغى"(النجم:١٧) ، "مِنْ بَعْدِ ما كادَ يَزِيغُ "(التوبة:١١٧) ، "فَلَمَّا زاغُوا أَزاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ"

(الصف:٥) ، لمّا فارقوا الاستقامة ،عاملهم بذلك."[٢]

ويقول في معنى : الميل : " المَيْلُ: العدول عن الوسَط إلى أَحَد الجانبين، ويُستعمَلُ في الجَوْر، وإذا استُعمِلَ في الأجسام ، فإنه يقال فيما

---

١)السابق : ص ٦٠ ، ٦١ .

٢) المفردات (ز ي غ) ١ / ٣٨٧ .

كان خِلْقَةً: مَيَلٌ، وفيما كان عَرَضاً : مَيْلٌ، يقال: مِلْتُ إلى فلان: إذا عاوَنْتُهُ. قال تعالى: "فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ"(النساء: ١٢٩) وَمِلْتُ عليهِ: تحاملْتُ عليه. قال تعالى: "فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً واحِدَةً" والمَالُ سُمِّي بذلك لكونه مائلًا أبدا وزَائلا، ولذلك سُمِّي عَرَضاً، وعلى هذا دلَّ قولُ مَنْ قال: المَالُ قَحْبَةٌ تكون يوماً في بيت عطَّار، ويوماً في بيت بَيْطَارٌ"(١)

وفرق أبو هلال العسكري بين الزيغ والميل ، فقال : " إن الزيغ مُطلقًا لَا يكون إِلَّا الْميل عَن الْحق ، يُقَال : فلَان من أهل الزيغ ، وَيُقَال أَيْضا : زاغ عَن الْحق ، وَلَا أعرف زاغ عَن الْبَاطِل؛ لِأَن الزيغ اسْم مليل مكروه .... والميل عَام فِي المحبوب وَالْمَكْرُوه"(٢)

وبهذا يكون الميل أعم من الزيغ ، حيث إن الزيغ ميل عن الاستقامة، ولا يكون إلا في الميل عن الحق إلى الباطل ، وهذا ما يفهم من سياقات الآيات القرآنية السابقة ، بخلاف الميل أعم يستعمل في الميل عن الحق وعن الباطل .

<u>الغضب – الغيظ – السخط :</u>

يقول – تعالى – في سورة الأحزاب : "وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ .....﴿٢٥﴾"

كلمة : الغيظ جاءت في هذه الآية ، ويقاربها في الدلالة : كلمة الغضب ، وكلمة السخط ، وفي الفرق بين الغيظ والغضب ، يقول أبو هلال العسكري :

"إن الْإِنْسَان يجوز أَن يغتاظ من نَفسه ، وَلَا يجوز أَن يغْضب عَلَيْهَا وَذَلِكَ أَن الْغَضَب إِرَادَة الضَّرَر للمغضوب عَلَيْهِ ، وَلَا يجوز أَن

١) السابق (م ي ل)١ / ٣٨٧ .

٢) الفروق اللغوية : ٢١٣ .

يُرِيد الْإِنْسَان الضَّرَر، والغيظ يقرب من بَاب الْغم"

ويقول ابن فارس في التأصيل لمادة : (غ ي ظ) ."الْغَيْنُ وَالْيَاءُ وَالظَّاءُ أُصَيْلٌ فِيهِ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، يَدُلُّ عَلَى كَرْبٍ يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ مِنْ غَيْرِهِ. يُقَالُ: غَاظَنِي يَغِيظُنِي. وَقَدْ غِظْتَنِي يَا هَذَا. وَرَجُلٌ غَائِظٌ وَغَيَّاظٌ. قَالَ:

سُمِّيتَ غَيَّاظًا وَلَسْتَ بِغَائِظٍ ... عَدُوًّا وَلَكِنَّ الصَّدِيقَ تَغِيظُ"(١)

ويقول صاحب المقاييس في التأصيل لكلمة الغضب :

"الْغَيْنُ وَالضَّادُ وَالْبَاءُ :أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى شِدَّةٍ وَقُوَّةٍ. يُقَالُ: إِنَّ الْغَضْبَةَ: الصَّخْرَةُ الصُّلْبَةُ. قَالُوا: وَمِنْهُ اشْتُقَّ الْغَضَبُ، لِأَنَّهُ اشْتِدَادُ السُّخْطِ. يُقَالُ: غَضِبَ يَغْضَبُ غَضَبًا، وَهُوَ غَضْبَانُ وَغَضُوبٌ. وَيُقَالُ: غَضِبْتُ لِفُلَانٍ، إِذَا كَانَ حَيًّا ؛ وَغَضِبْتُ بِهِ، إِذَا كَانَ مَيِّتًا."(٢)

ويقول الراغب الأصفهاني في معنى السخط :"السَّخَطُ والسُّخْطُ: الغضب الشديد المقتضي للعقوبة، قال: "إذا هُمْ يَسْخَطُونَ"(التوبة:٥٨) ، وهو من الله تعالى: إنزال العقوبة، قال تعالى: "ذلكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا ما أَسْخَطَ اللَّهَ" (محمد: ٢٨)، "أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ" (المائدة/ ٨٠) "كَمَنْ باءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ"(آل عمران:١٦٢)"(٣).

"أَن الْغَضَب يكون من الصغير على الْكَبِير ، وَمن الْكَبِير على الصَّغِير والسخط لَا يكون إِلَّا من الْكَبِير على الصَّغِير يُقَال : سخط الْأَمِير على الْحَاجِب وَلَا يُقَال سخط الْحَاجِب على الْأَمِير وَيسْتَعْمل الْغَضَب فيهمَا والسخط إِذا عديته بِنَفسِهِ فَهُوَ خلاف الرِّضَا يُقَال رضيه وَسخطه ، وَإِذا عديته فَهُوَ بِمَعْنى الْغَضَب ، تَقول سخط الله إِذا أَرَادَ عِقَابه"(٤)

---

١) مقاييس اللغة (غ ي ظ) ٤ / ٤٠٥ .

٢) السابق (غ ض ب) ٤ / ٤٢٨ .

٣) المفردات للراغب (س خ ط) ٤٠٢ ، ٤٠٣ .

٤)الفروق اللغوية ١٣٠ .

الفرق بين العظيم والكبير:

يقول تعالى في سورة الأحزاب :"وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾"

كلمة : العظيم معناها قريب من معنى كلمة : الكبير ، وذكر أبو هلال فرقا بينهما ، حيث يقول :"إن عَظِيم الْقَوْم: هُوَ الَّذِي لَيْسَ فَوْقه أحد مِنْهُم ، فَلَا تكون الصّفة بِهِ إِلَّا مَعَ السؤدد وَالسُّلْطَان ، فَهُوَ مفارق لكبير ، وَكتب رَسُول الله إِلَى كسْرَى عَظِيم فَارس ، والعظيم فِي أَسمَاء الله تَعَالَى بِمَعْنى عَظِيم الشَّأْن والامتناع عَن مُسَاوَاة الصَّغِير لَهُ بالتضعيف ، وأصل الْكَلِمَة : الْقُوَّة ، وَمِنْه سمي الْعَظِيم عَظِيما ؛ لقُوته ، وَيجوز أَن يُقَال إِن أَصله : عَظِيم الجثة ، ثمَّ نقل لعَظِيم الشَّأْن كَمَا فعل بالكبير ، وَقَالَ تَعَالَى : (عَذَاب يَوْم عَظِيم)(الشعراء: ١٣٥) ، فَسَمَاهُ عَظِيما ، لعظم مَا فِيهِ من الآلام وَالْبَلَاء ؛ وَمَا اتَّسع لِأَن يكون فِيهِ الْعَظِيم، اسْتحق بِأَن يُوصف بِأَنه عَظِيم"[١]

وابن فارس ذكر أصلين مختلفين لمادة كل منهما : في (ع ظ م) يقول : " الْعَيْنُ وَالظَّاءُ وَالْمِيمُ: أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى كِبَرٍ وَقُوَّةٍ."[٢].

وعند تأصيله لمادة (ك ب ر) يقول : " الْكَافُ وَالْبَاءُ وَالرَّاءُ: أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الصِّغَرِ"[٣] .

١) الفروق اللغوية ١٨٣

٢) المقاييس (ع ظ م) ٤ / ٣٥٥ .

٣) السابق (ك ب ر) ٥ / ١٥٣ .

وهذا يؤكد الفرق الدلالي بين الكلمتين . ويمكن أن يستعملا مكان بعضهما على سبيل المجاز .

الْفرق بَين النبإ وَالْخَبَر

وردت كلمة النبأ في قول الله تعالى : "يَحْسَبُون ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾"

قد يظن أن النبأ بمعنى الخبر ، وعند التحقيق نجد أن هناك فرقا دلاليا بين الكلمتين ، ومن ذلك قول أبي هلال العسكري :

"إن النبأ لَا يكون إِلَّا للإخبار بِمَا لَا يُعلمهُ الْمخبَر ، وَيجوز أَن يكون الْخَبَر بِمَا يُعلمهُ ، وَبِمَا لَا يُعلمهُ ؛ وَلِهذا يُقَال : تخبرني عَن نفسي ، وَلَا يُقَال: تنبئني عَن نَفسِي ، وَكَذَلِكَ تَقول: تُخبرنِي عَمَّا عِنْدِي ، وَلَا تَقول تنبئني عَمَّا عِنْدِي وَفِي الْقُرْآن (فسيأتيهم أَنباء مَا كَانُوا بِهِ يستهزئون) (الشعراء :) وإنما استهزأوا بِهِ ؛ لأَنهم لم يعلمُوا حَقِيقَته ، وَلَو علمُوا ذَلِك لتوقوه يَعْنِي الْعَذَاب وَقَالَ تَعَالَى : (ذَلِك من أَنبَاء الْقرى نَقصه عَلَيْك) وَكَانَ النَّبِي لم يكن يعرف شَيْئا مِنْهَا وَقَالَ عَليّ بن عِيسَى عَن النبأ : معنى عَظِيم الشَّأْن وَكَذَلِكَ أَخذ مِنْهُ صفة النبيَ ، أَبُو هِلَال – أيده الله –: وَلِهَذَا يُقَال سَيكون لفُلَان نبأ ، وَلَا يُقَال خبر بِهَذَا الْمَعْنى ، وَقَالَ الزّجاج فِي قَوْله تَعَالَى (فسيأتيهم أَنبَاء مَا كَانُوا بِهِ يستهزئون) أنباؤه ، تَأْوِيله . والمعنى: سيعلمون مَا يؤول إِلَيه استهزاؤهم ، قُلْنَا وَإِنَّمَا يُطلق عَلَيْهِ هَذَا لما فِيهِ من عَظِيم الشَّأْن قَالَ أَبُو هِلَال والإنباء عَن

الشَّيْء أَيْضا قد يكون بِغَيْر حمل النبأ عَنهُ تَقول هَذَا الْأَمر ينبئ بِكَذَا وَلَا تَقول يخبر بِكَذَا لِأَن الْإِخْبَار لَا يكون إِلَّا بِحمْل الْخَبَر"[1]

ويفهم من هذا الكلام : أن النبأ إخبار السامع بما ليس عنده طرف عن الموضوع المخبَر به ، بخلاف الخبر ، فإنه قد يكون عند المخبَر طرف منه. والنبأ يكون في الشيء العظيم ، ومن ذلك : قوله تعالى : " " ومنه تسمية النبي ، عند من قال إنه مشتق من (نبأ)لأنه يأتي بالأخبار العظيمة الشأن ، التي لا يعلمها من بعث فيهم . وهذا يدل دلالة قاطعة على الفرق الدلالي بين كلمتي نبأ وخبر.

واستعملت كلمة النبأ ومشتقاتها في كثير من المواضع في القرآن الكريم ، وكذلك كلمة الخبر ومشتقاتها ، ولكل مفردة دلالة خاصة لا تشركها فيها الأخرى ، ولا تحل واحدة منها مكان الأخرى ، لتؤدي المعنى نفسه .

الزور – الكذب – البهتان :

يقول تعالى في سورة الأحزاب : "وَٱلَّذِين يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾"

كلمة البهتان يقاربها في الدلالة : الكذب والزور ، وقد استعمل القرآن الكريم كلا من هذه الألفاظ في سياقات مختلفة ، ومن ذلك – على سبيل المثال ، وليس الحصر – :

قوله تعالى في سورة الحج: "فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾"

---

١) الفروق اللغوية :٤١ .

وقوله تعالى في سورة الأنعام :" ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢٤"

وعند التحقيق تجد فرقا في الدلالة بين هذه المفردات ، يقول صاحب الفروق اللغوية : "إن الزُّور هُوَ الْكَذِب الَّذِي قد سُوي وَحسن فِي الظَّاهِر ليحسب أَنه صدق وَهُوَ من قَوْلك زورت الشَّيْء إِذا سويته وحسنته وَفِي كَلَام عمر زورت يَوْم السَّقِيفَة كلَاما وَقيل أَصله فَارسي من قَوْلهم زور وَهُوَ الْقُوَّة وزورته قويته وَأما الْبُهْتَان فَهُوَ مُوَاجهَة الْإِنْسَان بِمَا لم يُحِبهُ وَقد بَهته"(١)

ويفهم من هذا السياق عدم اتحاد هذه الكلمات في مدلولها ، إذ في كل واحدة منها ما ليس في الأخرى ،

والراغب الأصفهاني يفهم من كلامه في البهتان ، أنه يشتمل على المواجهة لمن يبهت ، فيقول : "قال الله عزّ وجل: "فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ" (البقرة: ٢٥٨) ، أي: دهِش وتحيّر، وقد بَهَتَهُ. قال عزّ وجل: "هذا بُهْتانٌ عَظِيمٌ" (النور:١٦) أي: كذب يبهت سامعه لفظاعته. قال تعالى: "وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ"(الممتحنة: ١٢)كناية عن الزنا، وقيل: بل ذلك لكل فعل مستبشع يتعاطينه باليد والرّجل من تناول ما لا يجوز، والمشي إلى ما يقبح، ويقال: جاء بالبَهِيتَةِ، أي: بالكذب"(٢)

وفي التأصيل لمادة (زور) فهم من كلام ابن فارس : أن الزور : الكذب الذي هيئ لكي يصدقه سامعه ، حيث يقول : "الزَّاءُ وَالْوَاوُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الْمَيْلِ وَالْعُدُول. مِنْ ذَلِكَ الزُّورُ: الْكَذِبُ ؛ لِأَنَّهُ مَائِلٌ عَنْ طَرِيقَةِ الْحَقِّ. وَيُقَالُ زَوَّرَ فُلَانٌ الشَّيْءَ تَزْوِيرًا. حَتَّى

١) الفروق اللغوية : ٤٧ .

٢) المفردات للراغب (ب ه ت)

يَقُولُونَ زَوَّرَ الشَّيْءَ فِي نَفْسِهِ: هَيَّأَهُ، لِأَنَّهُ يَعْدِلُ بِهِ عَنْ طَرِيقَةٍ تَكُونُ أَقْرَبَ إِلَى قَبُولِ السَّامِعِ."[1]

وهذا يؤكد أن هناك فرقا دلاليا بين هذه المفردات ، حيث استعملت في أسلوب القرآن في مواضع مختلفة ، ويستحيل أن توضع مفردة مكان الأخرى ، وتؤدي المعنى نفسه .

الوعد – العهد – الميثاق :

في قول الله تعالى في سورة الأحزاب : " وَلَقَدْ كَانُواْ عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾"

ويقول تعالى في السورة نفسها : "وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾"

ويقول تعالى في السورة نفسها : "وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾"

هذه مفردات ثلاث ، جاءت في آيات كثيرة في القرآن الكريم ، وبينها تقارب في المعنى ، ومما لا شك فيه أن في كل كلمة معنى خاصا بها، وأبو هلال العسكري صرح بالفرق بين هذه الكلمات الثلاث فقال : "إن الْمِيثَاق توكيد الْعَهْد من قَوْلك :أوثقت الشَّيْء إِذا أحكمت شده وَقَالَ بَعضهم : الْعَهْد يكون حَالّا من المتعاهدين ، والميثاق يكون من أَحدهمَا. ....الْعَهْد مَا كَانَ من الْوَعْد مَقْرُونا بِشَرْط ، نَحْو قَوْلك : إِن فعلت كَذَا فعلت كَذَا ، وَمَا دمت على ذَلِك فَأَنا عَلَيْهِ قَالَ الله تَعَالَى :(وَلَقَد عهدنا إِلَى آدم)(البقرة :١١٥) أَي أعلمناه أَنَّك لَا تخرج من الْجنَّة مَا لم

١) المقاييس (زور) ٣ / ٣٦ .

تَأْكُل من هَذِه الشَّجَرَة ، والعهد يَقْتَضِي الْوَفَاء ، الْوَعْد : يَقْتَضِي الإنجاز ، وَيُقَال نقض الْعَهْد ، أخلف الْوَعْد"(١)

ومقتضى كلامه: أن الميثاق هو التوكيد للعهد ، والعهد يكون في الحال من المتعاهدين بخلاف الميثاق فإنه يكون من أحد الطرفين ، ومن ذلك : قوله تعالى في النساء : " وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾" والمعنى واضح في هذا.

والفرق بين العهد والوعد أن الأول : الوعد المقرون بشرط ، إن تحقق فقد تم الوفاء ، حيث يكون من الطرفين ، وإلا فقد حدث نقض العهد ، وهذا واضح من الآية القرآنية التي استشهد بها أبو هلال العسكري .

والوعد يتطلب الإنجاز ، ويكون من طرف واحد ، ومنه قوله تعالى في سورة الفتح : " وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾".

١) الفروق اللغوية :٥٧، ٥٨

المبحث الثالث :

أثر السياق في دلالة الكلمات

من الأمور التي لها أثر كبير في تحديد دلالة الكلمة : السياق ، وهذا المصطلح يعنى به في اللغة كما ورد في المعجم الوسيط :"وَسِيَاق الْكَلَام: تتابعه وأسلوبه الَّذِي يجْرِي عَلَيْهِ"[١]

والسياق عند علماء فقه اللغة: " ما يتلو المفردة التي يراد بيان معناها أو يتقدمها من عبارات تقضي : إما ببيان معناها أو بتعيين المعنى المراد من معانيها ، وقد كانت بعض الدراسات التراثية تسمي العبارات التي تسبق المفردة المبحوث عن معناها ، " السباق" – بالباء الموحدة –وتسمي العبارات التي تتلوها " السياق " بالمثناة التحتية ، لكن الأمر استقر على الاجتزاء بمصطلح " السياق " بالمثناة التحتية عن الآخر ذي الباء الموحدة ."[٢]

ونظرية السياق واحدة من النظريات اللغوية الأوربية الحديثة التي أشار إليها المستشرقون ، وخاصة العالم:(فيرث) بالإضافة إلى نظرية الحقول الدلالية والنظرية السلوكية والنظرية التفسيرية .

"حيث يرى فيرث أن الميزة الجوهرية التي تتميز بها اللغة الإنسانية ، هي وظيفتها الاجتماعية ، وأن إنتاج الملفوظات اللسانية يتم في إطار سياق الموقف الاجتماعي ، والثقافي وبذلك يبرز(كل من) المتكلم – المستمع للغته دوره وشخصيته في البيئة اللسانية المتجانسة ، يعد المعنى في نظر (فيرث) مجموعة مركبة من العلاقات السياقية ، وعلى الدراسة الفونولوجية (الصوتية) والتركيبية والمعجمية والدلالية أن

---

١) المعجم الوسيط: لمجمع اللغة العربية بالقاهرة(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)ط: دار الدعوة ص ١ / ٤٦٥(س و ق).

٢) المعنى اللغوي: د محمد حسن جبل ط : مكتبة الآداب ط : الثانية : ٢٠٠٩ م .ص ٢٢٦ .

تعالج مكونات هذه المجموعة في إطار سياقها المناسب ، فالدراسة الدلالية حسب مفهومه ينبغي لها أن تربط الملفوظات اللسانية بسياقها الموقفي الذي تنتج فيه بالفعل "[١]

وهذه النظرية السياقية ليست وليدة العصر الحديث ، بل لها أثر واضح وجلي في الدراسات القديمة ، والتراث العربي ، والدليل على ذلك : ما يسمى بكتب الوجوه والنظائر في أسلوب القرآن الكريم ، وكتب الأشباه والنظائر ، وكتاب المفردات للراغب الأصفهاني ، وكتاب العلامة الفيروزابادي: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز [٢]

ومعروف أن هذه الكتب يتمثل منهجها في تعقب الكلمة القرآنية ، وتتبع معانيها المختلفة في السياقات المتعددة التي وردت فيها في آيات القرآن الكريم وأسوق هنا مثالا من كتاب الفيروزابادي : البصائر ، يظهر فيه كيف أنه تعقب المفردة القرآنية في سياقاتها المختلفة ، ويصرح بمعناها في كل سياق منها .

يقول الفيروزابادي : "بصيرة فى الجار:وقد ورد في القرآن على أَربعة أَوجه:

الأَوّل: بمعنى المجير والمعين {وإِنِّي جارٌ لَكُمْ} أَي معين.

الثَّاني: بمعنى طلب الجِوار{وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ المشركين استجارك فَأَجِرْهُ} (التوبة : ٦).

الثالث: بمعنى القضاء{وَهُوَ يُجْيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ} (المؤمنون :٨٨)أَي: يقضي ولا يقضَى عليه.

---

١) مباحث في اللسانيات ، د / أحمد حساني ، مطبعة المعارف ، د . ت . ص ١١٥ .

٢) ينظر:بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)تح: محمد علي النجار ،ط .المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ،لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

الرّابع: بمعنى القريب الدّار {والجار الجنب} أي القريب الأَجنبي ، وفى الحديث "الجار أَحقّ بصَقَبه" وفيه "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرِم جاره" وقيل: مكتوب في التَّوراة: حُسْن الجوار، يَعْمُرُ الدّيار، ويطوّل الأَعمار، ويؤبّد الآثار. والجَوْر على الجار، يخرّب الدّيار، وينقص الأَعمار، ويمحو الآثار. قال الشاعر:

إنِّي لأَحسد جاركم لجواركم ... طوبى لمن أَمسى لدارك جارا

يا ليت جاركَ باعني من داره ... شِبْراً فأُعطيَه بشِبرٍ دارا

والجار من الأَسماءِ المتضايفة ؛ فإِن الجار لا يكون جاراً لغيره إِلاَّ وذلك الغير جار له كالأَخ والصديق. ولمّا استُعظم حقّ الجار عقلاً وشرعاً عُبّر عن كلّ من يعظم حقُّه أَو يستعظم حقّ غيره بالجار كقوله {والجار ذِي القربى والجار الجنب}(النساء:٣٦) وباعتبار القُرب قيل: جار عن الطَّريق. ثمّ جُعل ذلك أَصلا في كلّ عدولٍ عن الحقّ فبنى منه الجَوْر. قال تعالى: {وَمِنْهَا جَآئِرٌ}(النحل :٩) أَي عادل عن المَحَجّة. وقيل: الجائر [من الناس] : الممتنع من التزام ما أَمَر به الشَّرع."[١]

أنواع السياقات :

وأصحاب النظرية السياقية قسّمُوا السياق إلى أربعة أقسام :

الأول : السياق اللساني (اللغوي). الثاني : السياق العاطفي .

الثالث : سياق الموقف . الرابع : السياق الثقافي .

السياق اللساني:

يراد به المحيط الدلالي الذي يحدد مدلول العناصر اللسانية ، فيختلف المدلول باختلاف السياقات التي يرد فيها .وذلك مثل كلمة : ضرب ، الذي يختلف مدلولها من سياق لساني إلى آخر ، فهو بمعنى :

١) البصائر للفيروزابادي ص ٢ /٣٥٨ .

الضرب للحجر بالعصي : في قوله تعالى في سورة البقرة: "وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ..... ۖ ﴿٦٠﴾"

وبمعنى : السفر في قوله تعالى في سورة المزمل:" عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ ....﴿٢٠﴾ "

وبمعنى : النوم في قوله تعالى في سورة الكهف:" فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾"

وبمعنى : الطبع في قولنا :ضرب الدرهم . ...[١]

السياق العاطفي:

يقصد به الموقف الانفعالي الذي قيلت فيه المفردة اللغوية ، فقد يعطيها دلالة غير الدلالة المعجمية التي تستفاد من المفردة ، ويمثلون لهذا بكلمات مثل الحرية والعدالة ، والكلمات التي لها صلة بالشعور والانفعالات مثل كلمات الغضب والغيظ والفرح والسرور التي قد تشحن في كثير من الأحيان بمضامين عاطفية ، بل إن بعض الكلمات المستعملة في الحياة اليومية العادية ، قد تكسب نغمة عاطفية قوية وغير متوقعة في المواقف الانفعالية [٢]

١) مباحث في اللسانيات ص ١١٥ ، ١١٦ بتصرف .

٢)ينظر السابق : ١١٨ بتصرف .

سياق الموقف:

يقصد به :الموقف الذي قيلت فيه المفردة فإنه يكون له دخل في بيان معنى المفردة ، على سبيل المثال : كلمة : عملية ، لو قيلت في مشفى لقصد بها عملية جراحية ، ولو قيلت في مكان تعليمي يقصد بها عملية حسابية ، ولو قيلت في مقام عسكري ، بقصد بها عملية عسكرية ، والذي يضفي عليها هذه الدلالات إنما هو الموقف الذي قيلت فيه، ومن ذلك أيضا: قولهم : رفع عقيرته ، للدلالة على رفع الصوت ، يقول ابن فارس : "وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: رَفَعَ عَقِيرَتَهُ، إِذَا تَغَنَّى أَوْ قَرَأَ، فَهَذَا أَيْضًا مِنْ بَابِ الْمُجَاوَرَةِ، وَذَلِكَ فِيمَا يُقَالُ : رَجُلٌ قُطِعَتْ إِحْدَى رِجْلَيْهِ فَرَفَعَهَا ، وَوَضَعَهَا عَلَى الْأُخْرَى ، وَصَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ، ثُمَّ قِيلَ ذَلِكَ لِكُلِّ مَنْ رَفَعَ صَوْتَهُ. وَالْعَقِيرَةُ هِيَ الرِّجْلُ الْمَعْقُورَةُ ، وَلَمَّا كَانَ رَفْعُ الصَّوْتِ عِنْدَهَا سُمِّيَ الصَّوْتُ بِهَا"(١)

ومعنى الصوت غير موجود في الفعل : رفع ، ولا في كلمة : عقيرة ، ولكن لأن هذه العبارة ارتبطت بموقف معين ، رُفع فيه الصوت، أصبحت تطلق على كل من رفع صوته .

السياق الثقافي :

ويقصد به المحيط الثقافي الذي تستعمل فيه المفردة اللغوية ، فإنه يكون له دخل في بيان معنى المفردة اللغوية داخل سياقها الذي وقعت فيه .

ويمثلون له بكلمة : كافر ، لو أطلقت في محيط زراعي ، فإنه يقصد بها : الزارع ، وإن قيلت في المحيط الثقافي الديني ، وفي مقام الحديث عن الوحدانية ، فإنه يراد بها :الجاحد لوجود الإله .ومن المعنى

١) مقاييس اللغة(ع ق ر) ٤ / ٩٢ .

الأول : قول الله تعالى في سورة الحديد : "كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗا... ﴿٢٠﴾

ومن المعنى الثاني: قول الله تعالى في سورة البقرة :" إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٦١﴾"

هذا مضمون النظرية السياقية التي خرج علينا بها اللغويون الأوربيون ضمن النظريات التي تكلموا فيها ، ومعظم هذه النظريات له وجود في الدراسات القديمة والتراث العربي .

ودلالة السياق كان لها أثر كبير في مدلولات بعض المفردات اللغوية من سورة الأحزاب ، ومن ذلك :

فوق :

قال تعالى في سورة الأحزاب : "إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ" (الآية : ١٠)

هذه الكلمة معناها الأصيل في اللغة : يقول الرازي :"فوق : ضد تحت"(١)

ووردت في عدة سياقات في القرآن الكريم بدلالات متعددة ، حيث إنها وردت بتسعة معاني في القرآن الكريم ، ومن هذه المعاني(٢)

---

١)مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦هـ)،تح: يوسف الشيخ محمد،:المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا ط: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ص : ٢٤٤ (ف و ق) .

٢) ينظر :الوجوه والنظائر للدامغاني : تح . محمد حسن أبو العزم ، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٤١٦ هـ . ١٩٩٦ص ٢ / ١١٠ : ١١٣ . باختصار ، وينظر: الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري(ت: نحو ٣٩٥هـ) تح: محمد عثمان ط:مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ،ط: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧م ص: ٣٧٧

بمعنى:أكبر كما في قوله تعالى في سورة البقرة: "إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ .. ﴿٢٦﴾"

وبمعنى: أكثر كما ورد في سورة النساء في قوله تعالى:"فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ .. ﴿١١﴾

وبمعنى :أرفع في المنزلة ، والقرب إلى الله – تعالى – كما ورد في سورة البقرة :"وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢١٢﴾"

وبمعنى: على في قوله تعالى في سورة الأنعام: "وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٦٥﴾ "

وبمعنى: فوق الرؤوس في فوله تعالى في سورة النساء :"وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمۡ .....﴿١٥٤﴾"

وبمعنى : من قبل المشرق من أعلى الوادي في سورة الأحزاب :"إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ"

وبمعنى : السلطان والقهر في سورة الأنعام في قوله تعالى : "وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٨﴾ "

وبمعنى: الظفر كما ورد في سورة آل عمران في قوله تعالى:"وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ..﴿٥٥﴾"

والذي أفاد هذه الدلالات : السياق، الذي وردت فيه هذه الكلمة .

وابن فارس عندما أصل لمادة هذه الكلمة ، ردها إلى أصلين ،يقول : " الْفَاءُ وَالْوَاوُ وَالْقَافُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى عُلُوٍّ، وَالْآخَرُ عَلَى أَوْبَةٍ وَرُجُوعٍ.، فَالْأَوَّلُ : الْفَوْقُ، وَهُوَ الْعُلُوُّ. وَيُقَالُ: فُلَانٌ فَاقَ أَصْحَابَهُ يَفُوقُهُمْ، إِذَا عَلَاهُمْ ، وَأَمْرٌ فَائِقٌ: أَيْ مُرْتَفِعٌ عَالٍ.، وَأَمَّا الْآخَرُ فَفُوَاقُ النَّاقَةِ، وَهُوَ رُجُوعُ اللَّبَنِ فِي ضَرْعِهَا بَعْدَ الْحَلَبِ"(١)

ومن يتأمل في المعاني السياقية السابقة ، يجدها تدور في فلك الأصل الأول من الأصلين اللذين ذكرهما ابن فارس ، وهو العلو .

ومعنى كلمة " فوق " في آية الأحزاب : "من قبل المشرق من أعلى الوادي "، كما نص على ذلك الدامغاني في كلامه السابق .

أسفل :

وردت هذه الكلمة في سورة الأحزاب في قوله تعالى : "إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ"

المعنى اللغوي الأصلي لهذه الكلمة هو : "السُفْلُ، والسِفلُ، والسُفولُ، والسَفالُ، ذو السُفالَةُ بالضم: نقيض العُلْوِ،"(٢)

وهذه الكلمة وردت بدلالات متعددة في سياقات مختلفة في القرآن الكريم :

وردت بمعنى: أسفل الوادي في الآية المتقدمة ، وبمعنى : أخسر في العقوبة في قوله تعالى في سورة الصافات : " فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا

---

١) المقاييس (ف و ق) ٤ / ٤٦١ .

٢) الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)تح: أحمد عبد الغفور عطار ،ط: دار العلم للملايين، بيروت: الرابعة:١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م . ص ٥ / ١٧٣٠

(س ف ل).

فَجَعَلْنَٰهُمْ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ " وبمعنى: أرذل العمر في قوله تعالى في سورة التين :"ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾" وهذا في شأن الإنسان.

وهذه الدلالات دل عليها السياقات التي أحاطت بالكلمة .

الظن :

قال الله تعالى: في سورة الأحزاب:"وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾"

يقول ابن فارس في التأصيل لهذه الكلمة: "الظَّاءُ وَالنُّونُ أُصَيْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَيَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ: يَقِينٍ وَشَكٍّ."(١)

ووردت كلمة : " الظن" بمعاني مختلفة في عدة سياقات في كتاب الله – عز وجل– يقول الفيروزابادي : "وقد ورد الظنّ فى القرآن مجملاً على أَربعة أَوجه:

بمعنى اليقين، وبمعنى الشكّ، وبمعنى التُهَمة، وبمعنى الحُسْبَان. فالذي بمعنى اليقين في عشرة مواضع: {يَظُنُّونَ أَنَّهُم ملاقوا رَبِّهِمْ} {وَظَنَّ أَنَّهُ الفراق} ، {إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاَقٍ حِسَابِيَهْ} ، {وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ الله فِي الأرض} ، {أَلا يَظُنُّ أُولَئكَ أَنَّهُمْ مَّبْعُوثُونَ} ، {وَظَنُّواْ مَا لَهُمْ مِّن مَّحِيص} ، {وظنوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ} ، يعنى رُكَّاب السّفن فى البحر. {وظنوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ الله إِلاَّ إِلَيْهِ} ، يعنى المتخلِّفين من غزوة تَبُوك. {إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ الله} ، {وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ} .وأَمّا الذي بمعنى الشكّ والتُهَمَة فعلى وجوه مختلفة: .....{مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ الله} ، {وَتَظُنُّونَ بالله الظنونا} ، يعنى فى حرْب الأَحزاب، {إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ} يعنى اليهود. {وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ} ؛ {وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السوء} يعنى المنافقين فى حقّ المؤمنين. {الظآنين بالله ظَنَّ السوء}،

١) المقاييس (ظ ن) ٣ / ٤٦٢ .

{يَظُنُّونَ بالله غَيْرَ الحق ظَنَّ الجاهلية} . {إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنّاً} ، يعنى فى حقّيّة البعث، {وظنوا أَنَّهُمْ مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ الله} يعنى بنى قُرَيْظَة وحصونهم{إِنَّ الظن لاَ يُغْنِي مِنَ الحق شَيْئاً} . {وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ الإنس والجن عَلَى الله كَذِباً} ، {وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ} . {إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ بلى} يعنى أَبا جهل ظنّ أَن لا يعاد. وقوله تعالى: {وَمَا هُوَ عَلَى الغيب بِضَنِينٍ} (على قراءة : بظنين) يعنى أَنَّ النبي صلَّى الله عليه وسلَّم غيرُ متَّهم فيما يقول. والظنّ في كثير من الأُمور مذموم، ولهذا قال تعالى: (وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنّاً إِنَّ الظن لاَ يُغْنِي مِنَ الحق شَيْئاً) (النجم : ٢٨) ، وقال تعالى: (اجتنبوا كَثِيراً مِّنَ الظن إِنَّ بَعْضَ الظن إِثْمٌ) (الحجرات :١٢) . وفيه ظِنَّة، أَي تُهمة. وهو ظِنَّتي، أَي موضع تُهْمتي. وبئر ظَنُونٌ: لا يُوثَقُ بمائها. ورجل ظَنُونٌ: لا يوثق بخبَره. وهو مَظِنّة للخير، وهو من مظانِّه. وظَنَنْت به الخير ،فكان عند ظنِّي"[١]

وكلها دلالات فهمت من خلال السياقات ، التي تضمنت هذه الكلمة ، ودلالة الظن في آية الأحزاب تفيد الشك والتهمة ، كما ذكر الفيروزابادي في النص السابق .

والكلمة في أصل معناها تدل على اليقين والشك ، وهما متضادان، ورغم ذلك فإن السياق يحدد معناها . ويجلّي مفهومها ، ويبين دلالتها أينما وقعت .

١) بصائر ذوي التمييز : ٣ / ٥٤٥ : ٥٤٧ .باختصار .

المقام :

قال تعالى في سورة الأحزاب : "وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ۚ ...﴿١٣﴾"

وردت كلمة مقام في عدة سياقات في القرآن الكريم ، بمعاني مختلفة يحددها السياق الذي وقعت فيه .

جاءت بمعنى :المساكن ،ومن ذلك قول الله تعالى في سورة الشعراء : "فَأَخْرَجْنَـٰهُم مِّن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ "

ومعنى : المكث والإقامة ، ومنه قوله تعالى في سورة الأحزاب :"يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ " ، ومعنى الوقوف بين يدي الله عز وجل ،ومنه قوله تعالى في سورة الرحمن:"وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾"ومعنى المكان في قوله تعالى في سورة النمل:"قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾"

وكلمة : مقام في آية الأحزاب قرئت بفتح الميم وضمها ، وقد سبقت في مبحث التعاقب بين الصوائت .

والذي أوقفنا على هذه الدلالات أيضا ، السياق الذي له دور لا يجحد في بيان المراد من الكلمات .[1]

١) ينظر : الوجوه والنظائر للدامغاني ، ص : ٢ / ٢٢٨ ، ٢٢٩ باختصار .

الفرار :

يقول تعالى في سورة الأحزاب:"قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ.... ﴿١٦﴾"

وفي المعنى اللغوي الأصلي الذي تدل عليه مادة الكلمة ، يقول ابن فارس :" أصل الفَرِّ: الكشف عن سنّ الدّابّة. يقال: فَرَرْتُ فِرَاراً، ومنه : فَرَّ الدّهرُ جذعا ، ومنه: الِافْتِرَارُ، وهو ظهور السّنّ من الضّحك، وفَرَّ عن الحرب فِرَاراً. قال تعالى: "فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ" (الشعراء:٢١) ، وقال: "فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ" (المدثر:٥١) ، "فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِي إِلَّا فِراراً" (نوح: ٦) ، "لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ" (الأحزاب: ١٦) ، "فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ" (الذاريات:٥٠) ، وأَفْرَرْتُهُ: جعلته فَارّاً، ورجل فَرٌّ وفَارٌّ، والمَفَرُّ: موضع الفرار، ووقته، والفرار نفسه، وقوله: أَيْنَ الْمَفَرُّ (القيامة:١٠) ، يحتمل ثلاثتها" [١]

هذه المعاني الأصلية لكلمة : الفرار .

ووردت استعمالات للكلمة في سياقات متعددة بمعاني مختلفة ، يكشف عنها السياق ، ومن هذه المعاني:

الهرب ، ومنه الآية السابقة ، ومعناها : لن ينفعكم الهرب من المصير المحتم عليكم . ومن معانيها :كذلك : الكراهية ، ومن ذلك : قوله تعالى في سورة الجمعة:" قُل إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ....﴿٨﴾ " يعني : الموت الذي تكرهونه، وأيضا جاءت بمعنى التباعد ، ومن ذلك :قوله تعالى في سورة نوح: "قَال رَبِّ إِنِّي

١) المفردات ص ٦٢٨ .(ف ر ر) .

دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦، ووردت بمعنى التوبة ، في قوله تعالى في سورة الذاريات :" فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠"[1]

وللسياق أهمية كبيرة في تجلية معاني هذه الكلمة ، كما يلحظ من المواضع السالفة .

البأس :

يقول الله تعالى في سورة الأحزاب:"قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً ۝١٨"

ويقصد بالبأس هنا: الحرب .

كلمة (البأس) ذكر ابن فارس أصل معناها اللغوي ، فقال : " الْبَاءُ وَالْهَمْزَةُ وَالسِّينُ : أَصْلٌ وَاحِدٌ، :الشِّدَّةُ وَ [مَا] ضَارَعَهَا. فَالْبَأْسُ : الشِّدَّةُ فِي الْحَرْبِ. وَرَجُلٌ ذُو بَأْسٍ وَبَئِيسٌ أَيْ شُجَاعٌ. وَقَدْ بَأَسَ بَأْسًا فَإِنْ نَعَتَّهُ بِالْبُؤْسِ قُلْتَ بَؤُسَ. وَالْبُؤْسُ: الشِّدَّةُ فِي الْعَيْشِ. وَالْمُبْتَئِسُ الْمُفْتَعِلُ مِنَ الْكَرَاهَةِ وَالْحُزْنِ. "[2]

وباستقراء هذه الكلمة في كتاب الله – عز وجل – جاءت بأكثر من معنى، أفاده السياق، يقول أبو هلال العسكري :"البأس : أصله: الشدة. وفي القرآن: (عذابا بئيسًا) أي: شديدا.

وأكثر ما جاء عن العرب: البأس في الحرب، والبؤس: الشدة في المعيشة. وكذلك البأساء.

---

١) الوجوه والنظائر، ص ٢ / ١٢٩ ، ١٣٠ .

٢) مقاييس اللغة (ب أ س) ١ / ٣٢٨ .

وفي القرآن: (مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ) ذكرهما للتوكيد، وهما واحد، كما قال: العدل والإحسان. هذا قول ، وأجود. منه أن يقال: البأساء: الشدة في الحرب، والضراء: الشدة في المعيشة، والعدل: الإنصاف في الحكم ، والإحسان في ذلك، وفي غيره من الأفعال الحسنة. وقوله تعالى: (فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) أي.: لا تغتم. والابتئاس: حزن في استكانة.، والبأس في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول: العذاب، قال تعالى: (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا) أي: عذابنا، وقال: (فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا) وقال: (فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ).

الثاني: الحرب، قال الله في البقرة: (وَحِينَ الْبَأْسِ) يعني: الحرب. الثالث: السطوة والنكاية، قال تعالى: (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا). وقوله: (نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ) أي: أولو سطوة ونكاية في العدو."[١]

وكلها معان لا تبعد عن الأصل الذي ذكره ابن فارس .

تبديل :

قال تعالى في سورة الأحزاب : "وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً ﴿٢٣﴾"

كلمة: تبديل تعني في اللغة كما يقول الفيومي :"بَدَّلْته تَبْدِيلًا بِمَعْنَى غَيَّرْت صُورَتَهُ تَغْيِيرًا"[٢]

وخرجت هذه الكلمة إلى معاني كثيرة ، أفادها السياق ، يقول صاحب البصائر : "التبديل :وهو الشيء يكون مكان آخر. وهو أَعمّ من العوَضِ، فإنَّ العوض هو أَن يصير لك الثاني بإِعطاءِ الأَوّل. والتَّبديل،

١) الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري ، ص : ١٢٧ ، ١٢٨ .

٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو ٧٧٠هـ) ،ط: المكتبة العلمية – بيروت ص ١ / ٣٩ .

والإبدال، والاستبدال: جعل الشَّيء مكان آخر. وقد ورد في القرآن على وجوه:

الأَوّل: بمعنى الهلاك {وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً} ، {وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ على أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ} أَى نهلك.

الثانى: بمعنى نسْخ الشريعة والآية: {وَإِذَا بَدَّلْنَآ آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ} أَى نسخنا، {قل ما يكون لي أن أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَآءِ نفسي} .

الثالث: بمعنى التغيير: {فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الذين يُبَدِّلُونَهُ} أَى يغيّرونه، {وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً} ومنه قوله – تعالى { فَأُولَئكَ يُبَدِّلُ الله سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ} وقيل: هو أَن يعملوا أَعمالاً صالحة تُبطل ما قدّموه من الإِساءَة. وقيل: هو أَن يعفو – تعالى – عن سيئاتهم، ويحتسب بحسناتهم {يَوْمَ تُبَدَّلُ الأرض غَيْرَ الأرض} أَى تغيّر عن حالها. وقوله: {مَا يُبَدَّلُ القول لَدَيَّ} أَى لا يغيّر ما سبق فى اللَّوح المحفوظ؛ تنبيهاً على أَن ما علمه أَن سيكون يكون على ما قد علمه، لا يتغيّر عن حاله. وقيل: لا يقع فى قوله خُلْف. وعلى الوجهين قوله: {لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ الله} {لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الله} وقيل: معناه: النهى عن الخِصاءِ.

الرّابع: بمعنى تجديد الحالة: {بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا} أَى جَدّدنا.

الخامس: بمعنى اختيار الكفر، .....{وَمَن يَتَبَدَّلِ الكفر بالإيمان} .

السّادس: بمعنى إِبليس فى طريق الظلم والضلالة:{بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً} .

والأَبدال: قوم صالحون، يجعلهم الله تعالى مكان آخرين مثلهم ماضين. وحقيقته: قوم بدّلوا أَحوالهم الذميمة (بأَحوالهم الحميدة) . قيل: وهم المشار إِليهم بقوله:–تعالى– {فَأُولَئكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتهِمْ حَسَنَاتٍ}"(١)

١) بصائر ذوي التمييز للفيروزابادي ٢ / ٢١٧ .

ورغم ذلك فكل هذه المعاني لا تبعد عن المعنى اللغوي لكلمة : التبديل عند التأمل فيها .

المرض :

يقول تعالى في سورة الأحزاب :" فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾"

وكلمة مرض جاءت في سياقات مختلفة في القرآن الكريم بعدة معاني :

"فوجه منها المرض يعني :الشك قوله تعالي في سورة البقرة(فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿١٠﴾) يعني : شكاً ؛ مثلها في سورة التوبة: (وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾) يعني :الشك.....

والوجه الثاني المرض: الفجور؛ قوله تعالى في سورة الأحزاب:(فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾" (مرض): يعني فجوراً ، وكقوله تعالى فيها:(لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٦٠﴾) يعني الفجور ، وليس غيرها

والوجه الثالث: مرض يعني : الجراح في قوله تعالى في سورة النساء:(وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ

لَـمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ.. ﴿٤٣﴾) يقول: جرحى نظيرها في سورة المائدة .

والوجه الرابع : المرض بعينه قوله سبحانه وتعالى فى سورة البقرة (فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ..... ﴿١٨٤﴾) وكقوله سبحانه وتعالى في سورة الفتح:(لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴿١٧﴾)" [1] "

في حين أن ابن فارس عندما أصل لمادة هذه الكلمة ، قال : " الْمِيمُ وَالرَّاءُ وَالضَّادُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَا يَخْرُجُ بِهِ الْإِنْسَانُ عَنْ حَدِّ الصِّحَّةِ فِي أَيِّ شَيْءٍ كَانَ...."[2]

وبالتأمل فيما ذكره ابن فارس نلاحظ أن المعاني السياقية السابقة لم تبعد عن المعنى الأصلي للكلمة .

المس :

يقول تعالى في سورة الأحزاب: "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾"

وردت كلمة (المس) بعدة معاني في عدة سياقات مختلفة في القرآن الكريم ، يقول أبوهلال العسكري: "أصل المس : اللصوق، مسسته بيدي ثم قيل على وجه التمثيل: مسه الضر، وقيل: مسه النار، ومس الرجل المرأة : إذا جامعها، والمس الجنون، ورجل ممسوس : مجنون، وماء مسوس : نالته الأيدي، والفرق بين المس واللمس، أن

١) الوجوه والنظائر: الدامغاني ٢/ ٢٠٧ ، ٢٠٨.

٢) مقاييس اللغة (م ر ض) ٥ / ٣١١ .

اللمس يكون باليد ؛لتعرف الخشونة أو اللين أو غير ذلك، ويكون المس باليد والحجر وغيره، .... والمس في القرآن على أربعة أوجه:

الأول: الجماع، قال الله(في الأحزاب):(ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ) وقوله:(في مريم)(وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ) وإنَّمَا سمي الجماع مسًّا؛ لأنه مع المس يكون.

الثاني: الإصابة، قال الله(في الأعراف):(قد مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ) أي: أصابتهم الشدة والرخاء؛ فجعل المس هنا موضع الإصابة؛ ليدل على قِصَر مدة ما أصابهم من ذلك، وتعرف به أن مدة المكروه والمحبوب في الدنيا قصيرة، وقال:(في ص):(مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ) وقال:(لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ).

الثالث: الجنون، قال الله(في البقرة):(يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ).

الرابع.: المس بالجارحة، قال الله(في الواقعة):(لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) أراد بالمطهرين :الملائكة، وهو التطهير من الذنوب، وقيل: لفظه لفظ خبر، ومعناه النهي، أي: لا يمسه إلا طاهر."[١]

وهذه الكلمة أصل مادتها اللغوي يدور حول معنى : الجس باليد ، يقول ابن فارس:"_الْمِيمُ وَالسِّينُ:أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى جَسِّ الشَّيْءِ بِالْيَدِ. وَمَسِسْتُهُ أَمَسُّهُ. وَرُبَّمَا قَالُوا: مَسَسْتُ أَمُسُّ. وَالْمَمْسُوسُ: الَّذِي بِهِ مَسٌّ، كَأَنَّ الْجِنَّ مَسَّتْهُ. وَالْمَسُوسُ مِنَ الْمَاءِ: مَا نَالَتْهُ الْأَيْدِي...."[٢]

ويلاحظ أن ابن فارس قد رد هذه المعاني السياقية إلى الأصل الذي تدل عليه مادة الكلمة .

ولا يخفى أن المعاني المتقدمة ، دل عليها السياق الذي وقعت فيه المفردة .

---

١) الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري ، ص ٤٣٥ .

٢ مقاييس اللغة (م س) ٥ / ٢٧١ .

الجناح :

يقول – تعالى – في سورة الأحزاب : " وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝"

كلمة : جناح من الكلمات التي تعدد ورودها في القرآن الكريم في سياقات مختلفة ، وصرح علماء اللغة والمفسرون من أصحاب كتب الوجوه والنظائر بأنها جاءت بدلالات عدة ، كشف السياق عنها ، فمثلا ، يقول الراغب الأصفهاني: "الجَنَاح: جناح الطائر، يقال: جُنِحَ الطائر، أي: كسر جناحه، قال تعالى: وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ (الأنعام:٣٨) ، وسمّي جانبا الشيء جَناحيه، فقيل: جناحا السفينة، وجناحا العسكر، وجناحا الوادي، وجناحا الإنسان لجانبيه، قال عزّ وجل: وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلى جَناحِكَ ... .قال تعالى: "وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَها"(الأنفال:٦١)أي: مالوا، من قولهم: جنحت السفينة، أي: مالت إلى أحد جانبيها، وسمي الإثم المائل بالإنسان عن الحق جناحا ثم سمّي كلّ إثم جُنَاحاً، نحو قوله تعالى: "لا جُناحَ عَلَيْكُمْ" في غير موضع، وجوانح الصدر: الأضلاع المتصلة رؤوسها في وسط الزور، الواحدة: جَانِحَة، وذلك لما فيها من الميل."[1]

ومعنى :الميل هو المعنى المشترك بين هذه الاستعمالات ، وهذا ما صرح به العسكري عندما تكلم عن أصل المعنى اللغوي لاستعمالات هذه المادة ، وعندما تكلم عن المعاني التي استعملت فيها في سياقات القرآن الكريم :يقول: "الجناح :أصله الميل، ومنه قيل: جنحت السفينة، أي: مالت، وقال تعالى(في الأنفال):(وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا) وسمي الإثم جناحا، لأنه ميل إلى هوى النفس، وجُنح الليل حين يميل، وقيل:

١) المفردات للراغب ، ص ٢٠٦ ، ٢٠٧.

حين تميل الشمس للمغيب، ومنه جناح الطائر، لأنها في جانبيه ما يلين عن سواء جنبك. والجناح في القرآن على وجهين:

الأول: الإثم، قال اللَّه(في البقرة):(وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ) أي: لا إثم عليكم في التعريض للمرأة المعتدة ترغبون في نكاحها، إذا خرجت من العدة، فأمَّا التصريح بذلك، فهو إثم.

الثاني: الضرر، هو قوله تعالى:(إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا)(البقرة : ٢٨١) ، أي: إذا تبايعتم بالنقد فلا ضرر عليكم في ترك الكتاب والإشهاد، فإن قيل إن قوله: لا جناح عليكم في ترك ذلك في الحاضر، دليل على أن عليه جناحا في تركه في النساء، قلنا: أراد بالجناح : الضرر على ما ذكرنا، ولم يرد الإثم ، ولو أراد الإثم لكان قوله:(فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا) البقرة : (٢٨٢) رخصة في تركه."[١]

وعندما أصل ابن فارس لهذه المادة ، ذكر أنها تدور حول معنى الميل والعدوان ، حيث يقول : " الْجِيمُ وَالنُّونُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ ، يَدُلُّ عَلَى الْمَيْلِ وَالْعُدْوَانِ. وَيُقَالُ جَنَحَ إِلَى كَذَا، أَيْ مَالَ إِلَيْهِ. وَسُمِّيَ الْجَنَاحَانِ جَنَاحَيْنِ لِمَيْلِهِمَا فِي الشِّقَّيْنِ. وَالْجُنَاحُ: الْإِثْمُ، سُمِّيَ بِذَلِكَ ؛ لِمَيْلِهِ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ. وَهَذَا هُوَ الْأَصْلُ ثُمَّ يُشْتَقُّ مِنْهُ ، فَيُقَالُ لِلطَّائِفَةِ مِنَ اللَّيْلِ: جُنْحٌ وَجِنْحٌ، كَأَنَّهُ شُبِّهَ بِالْجَنَاحِ، وَهُوَ طَائِفَةٌ مِنْ جِسْمِ الطَّائِرِ. وَالْجَوَانِحُ: الْأَضْلَاعُ: لِأَنَّهَا مَائِلَةٌ. وَجُنِحَ الْبَعِيرُ : إِذَا انْكَسَرَتْ جَوَانِحُهُ مِنْ حِمْلٍ ثَقِيلٍ. وَجَنَحَتِ الْإِبِلُ فِي السَّيْرِ: أَسْرَعَتْ. فَهَذَا مِنَ الْجَنَاحِ، كَأَنَّهَا أَعْمَلَتِ الْأَجْنِحَةَ."[٢]

---

١) الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري ، ص : ١٦٤

٢) مقاييس اللغة (ج ن ح) ص ١ / ٤٨٤ ، ٤٨٥ .

المبحث الرابع :

التطور الدلالي

من الأمور التي لا يمكن لأحد أن ينكرها : التطور الدلالي ، الذي يلحق المفردات العربية ، حيث إن اللغة ظاهرة اجتماعية ترقى برقي المجتمع ، وتنهض بنهضته ، وتضعف بضعفه ، وتستمد اللغة – كذلك – قوتها من قوة المجتمع الذي تمارس فيه .

واللغة العربية حباها الله –عز وجل – بنعمة حفظ القرآن الكريم الذي حافظ على أصولها وأبنيتها وكلماتها ومعانيها وقواعدها ، وهذه ميزة لم تحدث لكثير من لغات العالم ، ولولا هذه النعمة – نعمة حفظ القرآن الكريم – وحراسة الناطقين لها ، لأصيبت اللغة العربية بما أصيب به كثير من اللغات في العالم من الضياع والضعف والتغير الجذري .

وأيضا اللغة التي تمارس مثلها مثل الكائن الحي ، يطرأ لها حالات من الضعف والقوة وغير ذلك ، فاللغة متغيرة ، وليست ثابتة.

والتطور اللغوي يطال الأصوات التي تتركب منها المفردة اللغوية ، ويطال دلالتها ، ويطال كذلك الأساليب ، حسب تعامل أهل الزمن الواحد ، لكن كل هذا لا يبعد عن الأصل الدلالي الذي استعملت فيه المفردة من الأساس ، حيث تكون هناك علاقة بين المعنى الأصلي والمعنى الذي تطورت إليه المفردة اللغوية .

وهذا التغير لا يحدث مرة واحدة ، وإنما يكون بطيئا ،لا يلحظ إلا على فترات متباعدة.

وهذا معنى ما قاله المستشرق : ستيفن أولمان الذي قال : " اللغة ليست هامدة أو ساكنة ، بحال من الأحوال ، بالرغم من أن تقدمها قد يبدو بطيئا في بعض الأحايين ، فالأصوات والتراكيب ، والعناصر

النحوية ، وصيغ الكلمات ومعانيها ،معرضة كلها للتغير والتطور ، ولكن سرعة الحركة والتغيير فقط ، هي التي تختلف ، من فترة زمنية إلى أخرى ، ومن قطاع إلى آخر من قطاعات اللغة ، فلو قمنا بمقارنة كاملة بين فترتين متباعدتين ، لتكشف لنا الأمر ، عن اختلافات عميقة كثيرة من شأنها أن تعوق فهم المرحلة السابقة ، وإدراكها إدراكا تاما ، "[١]

والتطور الدلالي يعني : " التطور الذي يلحق معنى الكلمة نفسه ، كأن يُخصص معناها العام ، فلا تطلق إلا على بعض ما كانت تطلق عليه ، أو يعمم مدلولها الخاص ، فتطلق على معنى يشمل معناها الأصلي ومعاني أخرى تشترك معه في بعض الصفات ، أو تخرج عن معناها القديم ، فتطلق على معنى آخر ، تربطه به علاقة ما ، وتصبح حقيقة في هذا المعنى الجديد بعد أن كانت مجازا فيه ، أو تستعمل في معنى غريب كل الغرابة عن معناها الأول"[٢]

أنواع التطور الدلالي:

أنواع التطور الدلالي التي لاحظها علماء فقه اللغة القدماء والمحدثون ثلاثة أنواع ، وهي:

الأول : تعميم الخاص ، حيث تكون دلالة المفردة في أصل استعمالها خاصة ، ثم تتحول إلى دلالة عامة .

الثاني : تخصيص العام ، حيث تكون دلالة المفردة في أصل استعمالها عامة ، ثم تتحول إلى دلالة خاصة ، وهذا مثل الكلمات التي تحولت دلالتها وتطورت بمجيء الإسلام ، مثل كلمات : الشهادة ،

---

١)التطور اللغوي د رمضان عبد التواب ط :الثانية ط: الخانجي ١٤١٠ هـ ،١٩٩٠،ص/١٠

٢) أبو حاتم الرازي (أحمد بن حمدان ٣٢٢هـ) لغويا في ضوء كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية د وحيد زايد ، ط: الأولى ١٤١٩ هـ. – ١٩٩٨ ط التركي ص ١٣٣ .

والإسلام ، والإيمان ، والصلاة ، والصيام ، والحج ، والزكاة ، والكفر، والنفاق ....والكلمات التي سأتناولها بالتحليل من سورة الأحزاب ، معظمها من قبيل : تخصيص العام ، كما سيتضح بعد – إن شاء الله تعالى –

الثالث : انتقال الدلالة : وهذا عن طريق المجاز أو الاستعارة أو التشبيه ، وهي هذه الأبواب البلاغية التي يتناولها البلاغيون للتعرف على العلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي الذي انتقلت إليه المفردة اللغوية وتطورت .

ويعد من أوائل الذين لفتوا أنظار اللغويين إلى ظاهرة التطور الدلالي في المفردات العربية وخاصة الإسلامية منها : العلامة : أبو حاتم الرازي (ت ٣٢٢ هـ .) الذي وقف مع الكلمات التي تغيرت وتطورت دلالتها بمجرد ظهور الإسلام وورودها في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بمعان غير التي كانت تستعمل بها في العصر الجاهلي ، – وإن كانت قريبة منها – حيث خُصص معنى الكلمة أو عُمم – في كتابه الذي سماه : الزينة في الكلمات الإسلامية العربية .

" فهو يبدأ أحياناً بشرح الكلمة كما كانت مفهومة عند العرب قبل الإسلام، ثم يسير إلى أن يشرحها كما وردت في القرآن و الحديث، ويورد فيها آراء اللغويين والنحويين المتقدمين، وأحياناً نراه لا يرى هذا التسلسل الزمني، بل يبدأ بمدلولها الإسلامي ويستشهد بالقرآن والحديث قبل أن يحتج بالشعر واللغة. وكثيراً ما يفسر الكلمات تفسيراً لغوياً صرفياً يأتي باشتقاقاتها ومعانيها، ولا يهدف فيه معنييها الجاهلي والإسلامي "[١]

(١) الزينة في الكلمات الإسلامية والعربية للرازي ، – دار الكتاب العربي – الطبعة الأولى ١٩٥٦م.ص ٢١

أسباب التطور الدلالي في المفردات :

وأجمل الدكتور محمد المبارك أسباب التطور الدلالي ، حيث قال: " أسباب اجتماعية : إن الثورات الاجتماعية ولا سيما الفكرية والتطور الاجتماعي، بسبب ما تؤدي إليه من تبدل الأشياء التي يراها الإنسان أو يستعملها وتبدل المفاهيم، تؤدي في غالب الأحوال إلى تطور لغوي، فتموت ألفاظ ، وتحيا أخرى، و تتبدل معاني بعض الألفاظ، والتي كان لها معنى ، واستعيرت لمعنى جديد هو نتيجة تلك الثورة ، أو ذلك التطور الفكري. إن انتشار أديان أو مذاهب اجتماعية جديدة يقترن غالباً بظهور مفردات لغوية جديدة في صياغتها أو في معناها على الأقل للدلالة على المفاهيم الجديدة . فألفاظ الإيمان والنفاق والفسق والصلاة والصوم والزكاة والجهاد والتوبة والكفارة والتيمم والتقوى والدنيا والآخرة والحلال والحرام وكثير غيرها ظهرت بمعانيها الجديدة ... أسباب نفسية : إن الآداب الاجتماعية والحياء والاشمئزاز والتشاؤم والتفاؤل ، كلها أسباب نفسية تدعو إلى تجنب كثير من الألفاظ ، والعدول عنها إلى غيرها من الألفاظ التي يكنى بها عن الأشياء التي يستحيا من ذكرها أو يخاف أو يتشاءم من التلفظ بأسمائها، وذلك كبعض أعضاء الإنسان وأفعاله وبعض الأمراض والعاهات وبعض أنواع الحيوان. فقد استعمل العرب البصير للأعمى، والسليم للديغ، والمفازة للصحراء، واستعمل الناس من بعد الكفيف المكفوف البصر ... ومن أسباب تبديل معاني الألفاظ تأثير اللغات الأجنبية بإشراب الكلمة العربية معنى الكلمة الأجنبية المقابلة لها أو إعطائها معناها كاستعمال الأطباء

اليوم كلمة تدخل بمعنى العملية الجراحية، واستعمالنا كلمة الوسط للبيئة، والمحيط كذلك، والتحليل بمعنى المذهب، والدور بمعنى النوية... "[1].

ويرجع الدكتور: المبارك أسباب التطور في الكلمات إلي أسباب اجتماعية ودينية ونفسية، وإلى التأثر باللغات الأجنبية ، وهذا ما يفهم من الكلام السابق.

وفيما يلي عرض للمفردات التي حدث فيها تطور دلالي في سورة الأحزاب متبعا ترتيب الكلمات حسب ورودها في ترتيب الآيات داخل السورة المباركة :

الكافرين :

وردت هذه الكلمة في قول الله تعالى : "يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١"

وهذه الكلمة في أصل معناها اللغوي ، تعني كما يقول ابن فارس :"الْكَافُ وَالْفَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ، وَهُوَ السَّتْرُ وَالتَّغْطِيَةُ. يُقَالُ لِمَنْ غَطَّى دِرْعَهُ بِثَوْبٍ: قَدْ كَفَرَ دِرْعَهُ. وَالْمُكَفِّرُ: الرَّجُلُ الْمُتَغَطِّي بِسِلَاحِهِ....وَالنَّهْرُ الْعَظِيمُ: كَافِرٌ، تَشْبِيهٌ بِالْبَحْرِ. وَيُقَالُ لِلزَّارِعِ :كَافِرٌ، لِأَنَّهُ يُغَطِّي الْحَبَّ بِتُرَابِ الْأَرْضِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ" "الحديد: ٢٠"وَرَمَادٌ مَكْفُورٌ: سَفَتِ الرِّيحُ التُّرَابَ عَلَيْهِ حَتَّى غَطَّتْهُ. ....وَالْكُفْرُ: ضِدُّ الْإِيمَانِ، سُمِّيَ(به) ؛ لِأَنَّهُ تَغْطِيَةُ الْحَقِّ. وَكَذَلِكَ كُفْرَانُ النِّعْمَةِ: جُحُودُهَا وَسَتْرُهَا."[2]

فهذه الكلمة :(الكافر) في أصل معنى مادتها للستر والتغطية ، وتدور استعمالاتها حول هذا المعنى ، وتطورت دلالتها ، فأصبحت

(١) فقه اللغة د. محمد المبارك ص ٢١٢ : ٢١٦.

٢) مقاييس اللغة (ك ف ر) ٥ / ١٩١ .

تطلق – الآن – على الكافر الذي لا يعترف بالله – تبارك وتعالى – وقد قال ابن فارس : الكفر ضد الإيمان . وعلة تسمية الكافر بذلك : أنه جحد نعمة ربه عليه ، أي سترها ، ونلحظ العلاقة بين المعنى الذي تطورت إليه الكلمة وبين المعنى الأصلي الذي تدل عليه مادة الكلمة وهو الستر والتغطية.

وأرى أن هذا التطور من قبيل تخصيص العام ، حيث اختصت الكلمة بإطلاقها على المنكر لوجود الإله – جل في علاه – .

المنافقون :

وهذه الكلمة وردت في قول الله تعالى :

"يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾"

كلمة : (المنافقين) من الكلمات التي حدث فيها تغير دلالي كذلك، حيث إنها أصبحت تطلق على الذي يظهر خلاف ما يبطن ، وهي من الناحية العقدية خُصصت في صنف من الناس يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر .

ويقول الراغب الأصفهاني في أصل معناها :"والنَّفَقُ: الطريقُ النَّافِذُ، والسَّرَبُ في الأَرْض النَّافِذُ فيه. قال تعالى: "فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الْأَرْضِ" (الأنعام :٣٥) ومنه: نَافِقَاءُ اليَرْبُوعِ، وقد نَافَقَ اليَرْبُوعُ، ونَفَقَ، ومنه: النِّفَاقُ، وهو الدّخولُ في الشَّرْعِ من بابٍ ، والخروجُ عنه من بابٍ، (آخر) وعلى ذلك نبَّه بقوله (تعالى) :"إِنَّ الْمُنافِقِينَ هُمُ الْفاسِقُونَ"(التوبة:٦٧)أي: الخارجون من الشَّرْعِ، وجعل اللَّهُ

المنافقين شرّاً من الكافرين. فقال: "إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ" (النساء: ١٤٥) "[١]

ويقول الجوهري: "والنافقاء: إحدى جِحَرَةِ اليربوع، يكتُمها ويُظهر غيرها، وهو موضع يرققه، فإذا أُتِيَ من قِبَلِ القاصِعاءِ ضربَ النافِقاءَ برأسه فانْتَفَقَ، أي خرج. والجمع : النَوافِقُ. والنُفَقَةُ أيضاً، مثال الهُمَزَة: النافقاء. وتقول منه: نفّق اليربوع تَنْفيقاً ونافَقَ، أي أخذ في نافِقائه. ومنه اشتقاق المُنافِقِ في الدينِ"[٢].

ويطلق المنافق على الذي يظهر الإسلام ، ويبطن الكفر – وهذا في الجانب العقدي – وهو إطلاق مجازي معنوي ، مأخوذ من معنى حسي حقيقي ، الذي هو:(نافقاء اليربوع) ، كما فهم من الكلام المتقدم . وانتقال الدلالة عن طريق المجاز من أنواع التطور الدلالي .

وفي اللسان ما يفيد أن كلمة المنافق تطورت دلالتها بمجيء الإسلام، ولها أصل في اشتقاق العرب يقول ابن منظور :"النَّافِقاء، تَقُولُ مِنْهُ: نَفَّق اليَرْبوعِ تَنْفيقاً ، ونافَقَ أَي دَخَلَ فِي نافِقائه، وَمِنْهُ اشْتِقَاقُ المُنافق فِي الدِّينِ. والنفاق، بِالْكَسْرِ، فِعْلُ المنافِق. والنِّفاقُ: الدُّخُولُ فِي الإِسلام مِنْ وَجْه، والخروُج عَنْهُ مِنْ آخَرَ، مُشْتَقٌّ مِنْ نَافِقَاء الْيَرْبُوعِ ..... وَقَدْ نافَقَ مُنافَقَةً ونِفاقاً، وَقَدْ تَكَرَّرَ فِي الْحَدِيثِ ذِكْرُ النِّفاق وَمَا تَصَرَّفَ مِنْهُ اسْمًا وَفِعْلًا، وَهُوَ اسْمٌ إِسْلَامِيٌّ لَمْ تَعْرِفْهُ الْعَرَبُ بِالْمَعْنَى الْمَخْصُوصِ بِهِ، وَهُوَ الَّذِي يَسْتُرُ كُفْره وَيُظْهِرُ إِيمانَه وَإِنْ كَانَ أَصله فِي اللُّغَةِ مَعْرُوفًا. يُقَالُ: نافَقَ يُنافِق مُنافقة ونِفاقاً، وَهُوَ مأْخوذ مِنَ النَّافِقَاءِ لَا

١) المفردات للراغب الأصفهاني (ن ف ق) ص ٨١٩ ، ٨٢٠ .

٢)تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي(ت: ٣٩٣هـ) تح: أحمد عبد الغفور عطار ط:دار العلم للملايين، بيروت ط الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م. (ن ف ق)ص٤ / ١٦٥٠

مِنَ النَّفَق وَهُوَ السَّرَب الَّذِي يَسْتَتِرُ فِيهِ لِسَتْرِهِ كُفْره."[١] ومن قبيل ذلك : النفاق في السلوك ، الذي قال فيه الرسول – صلى الله عليه وسلم –: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان" متفق عليه.

تظاهرون :

جاءت هذه الكلمة في قوله تعالى في سورة الأحزاب :"وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ ٱلَّـٰٓـِٔى تُظَـٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَـٰتِكُمْ ۚ"

كلمة الظهار من الكلمات التي تغيرت دلالتها بمجيء الإسلام ، حيث كان يراد بها قبل الإسلام : الفراق (الطلاق) ، ثم أصبح لها حكم آخر في الإسلام ، وهو يتمثل في أن الرجل إذا قال لامرأته : أنت عليّ كظهر أمي ، فإنه لا يقربها إلا إذا أخرج الكفارة التي نص عليها القرآن في قوله تعالى في سورة المجادلة: " وَٱلَّذِين يُظَـٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾"

ويقول ابن فارس: "الظَّاءُ وَالْهَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى قُوَّةٍ وَبُرُوزٍ. مِنْ ذَلِكَ: ظَهَرَ الشَّيْءُ يَظْهَرُ ظُهُورًا فَهُوَ ظَاهِرٌ، إِذَا انْكَشَفَ وَبَرَزَ. وَلِذَلِكَ سُمِّيَ وَقْتُ الظُّهْرِ وَالظَّهِيرَةِ، وَهُوَ أَظْهَرُ أَوْقَاتِ النَّهَارِ وَأَضْوَؤُهَا. وَالْأَصْلُ فِيهِ كُلِّهِ ظَهْرُ الْإِنْسَانِ، وَهُوَ خِلَافُ بَطْنِهِ،

١) لسان العرب (ن ف ق) ١٠ / ٣٥٩ .

وَهُوَ يَجْمَعُ الْبُرُوزَ وَالْقُوَّةَ. وَيُقَالُ لِلرِّكَابِ: الظَّهْرُ ؛ لِأَنَّ الَّذِي يَحْمِلُ مِنْهَا الشَّيْءَ ظُهُورُهَا. وَيُقَالُ: رَجُلٌ مُظَهَّرٌ، أَيْ شَدِيدُ الظَّهْرِ. وَرَجُلٌ ظَهِرٌ: يَشْتَكِي ظَهْرَهُ....وَالظِّهَارُ: قَوْلُ الرَّجُلِ لِامْرَأَتِهِ: أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي. وَهِيَ كَلِمَةٌ كَانُوا يَقُولُونَهَا، يُرِيدُونَ بِهَا الْفِرَاقَ. وَإِنَّمَا اخْتَصُّوا الظَّهْرَ لِمَكَانِ الرُّكُوبِ، وَإِلَّا فَسَائِرُ أَعْضَائِهَا فِي التَّحْرِيمِ كَالظَّهْرِ."[1]

وقد صرح ابن منظور بالمجاز في استعمال كلمة الظهار في هذا المعنى ، يقول : " .....وَهَذَا مِنْ لَطِيف الِاسْتِعَارَاتِ لِلْكِنَايَةِ"[2]

وغير خاف أن هذه الكلمة أصبحت مصطلحا فقهيا ، بسط فيه علماء الشريعة الأحكام التي تترتب على الظهار الواقع من الرجل على زوجته .

المؤمن :

يقول تعالى : " ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ ...﴿٦﴾"

من الكلمات التي حدث لها تطور دلالي : كلمة المؤمن التي تطلق على من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر – خيره وشره – وهذا المعنى حدث للكلمة بعد مجيء الإسلام ، وكلمة المؤمن من الجذر (أمن) يقول الراغب الأصفهاني : "والإيمان يستعمل تارة اسما للشريعة التي جاء بها محمّد عليه الصلاة والسلام، وعلى ذلك: "الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هادُوا وَالصَّابِئُونَ" (المائدة: ٦٩) ، ويوصف به كلّ من دخل في شريعته مقرّا بالله وبنبوته. قيل: وعلى هذا قال تعالى: "وَما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ "(يوسف: ١٠٦).وتارة يستعمل على سبيل المدح، ويراد به إذعان النفس للحق على سبيل التصديق،

١) مقاييس اللغة :(ظ هـ ر) ٣ / ٤٧١ .

٢) لسان العرب : (ظ ه ر) ٤ / ٥٢٨ .

وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بحسب ذلك بالجوارح، وعلى هذا قوله تعالى: وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ (الحديد:١٩)،ويقال لكلّ واحد من الاعتقاد والقول الصدق والعمل الصالح: إيمان. قال تعالى: وَما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ (البقرة:١٤٣) أي: صلاتكم، وجعل الحياء وإماطة الأذى من الإيمان ، قال تعالى: "وَما أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنا وَلَوْ كُنَّا صادِقِينَ"(يوسف :١٧) قيل: معناه: بمصدق لنا، إلا أنّ الإيمان هو التصديق الذي معه أمن،"[١]

والعلاقة بين الإيمان بمعناه الشرعي والمعنى الأصلي للجذر هو التصديق ، حيث قال الراغب في كلامه السابق: الإيمان: تصديق مصحوب بالأمن ، يقول ابن فارس :"الْهَمْزَةُ وَالْمِيمُ وَالنُّونُ أَصْلَانِ مُتَقَارِبَانِ: أَحَدُهُمَا الْأَمَانَةُ الَّتِي هِيَ ضِدُّ الْخِيَانَةِ، وَمَعْنَاهَا سُكُونُ الْقَلْبِ، وَالْآخَرُ التَّصْدِيقُ. وَالْمَعْنَيَانِ كَمَا قُلْنَا مُتَدَانِيَانِ."[٢]أي متقاربان .

وعلى هذا فهناك علاقة بين المعنى الأصلي والمعنى الذي تطورت إليه . وهي من قبيل تخصيص العام .

التسريح :

وردت هذه الكلمة في قوله تعالى : "يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾" من الكلمات التي أخذت دلالة جديدة بمجيء الإسلام ، وكان للمجاز دور في انتقال دلالتها : كلمة التسريح ، حيث يراد بها مفارقة الزوج لزوجته ، يقول الراغب : " والتَّسْرِيحُ في الطّلاق، نحو

١) المفردات للراغب (أ م ن) ص ٩١ .

٢) المقاييس (أ م ن) ص ١ / ١٣٣ .

قوله تعالى: أَوْ "تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ" (البقرة : ٢٢٩) ، وقوله: "وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلًا" (الأحزاب : ٤٩) ، مستعار من تَسْرِيحِ الإبل، كالطّلاق في كونه مستعارا من إطلاق الإبل، واعتبر من السّرح المضيّ، فقيل: ناقة سَرْحٌ: تسرح في سيرها، ومضى سرحا سهلا. والْمُنْسَرِحُ : ضرب من الشّعر استعير لفظه من ذلك"(١)

وهنا يصرح الراغب أن التسريح بمعنى طلاق المرأة مستعار من معنى حقيقي وهو تسريح الإبل بجامع الإطلاق في كل منهما ، ومن ثم يكون في كلمة التسريح نوع من أنواع انتقال الدلالة عن طريق المجاز .

وقد صرح الزمخشري بهذا في معجمه ، يقول : "ومن المجاز: قولهم لامرأة الرجل: هي سرحته. وسرحك الله تعالى للخير: وفقك. وفلان يسرح في أعراض الناس: يغتابهم. وهو منسرح من أثواب الكرم: منسلخ. وفي مثل " السراح من النجاح ".(٢)

وانتقال الدلالة عن طريق المجاز أحد أنواع التطور اللغوي.

الصلاة – الزكاة :

قال الله تعالى :"وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ.وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ...﴿٣٣﴾"

من المفردات التي تغيرت دلالتها بالتخصيص : الصلاة والزكاة، حيث دلتا على معنى جديد بمجيء رسالة الإسلام ، فالصلاة في أصل

١) المفردات (س ر ح) ٤٠٦ .

٢ أساس البلاغة :أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ) تح: محمد باسل عيون السود، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م (س ر ح)٤٤٩/١

معناها من مادة (ص ل و) التي يراد بها مطلق الدعاء ، والزكاة من مادة (ز ك و) التي يراد بها النماء والزيادة والطهارة .

وإذا ما أطلقت هاتان المفردتان الآن ، فإنما يراد بهما الفريضتان اللتان أوجبهما الله تعالى على المسلمين .

فالصلاة أصبحت تطلق على هذه الأقوال والأعمال المفتتحة بالتكبير والمختتمة بالتسليم ، وتؤدى خمس مرات في اليوم والليلة . والزكاة : جزء من الأموال يخرج كل عام – بشروط وضحها علماء الشرع – لمن حددهم الله تبارك وتعالى في آية سورة التوبة ، وهي قوله تعالى : "إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ "

وقد أشار إلى هذا التغير الدلالي علماء اللغة ، وأصحاب المعجمات ، يقول الراغب:

"والصَّلاةُ، قال كثير من أهل اللّغة: هي الدّعاء، والتّبريك والتّمجيد، يقال: صَلَّيْتُ عليه، أي: دعوت له وزكّيت، وقال عليه السلام: «إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجب، وإن كان صائما فَلْيُصَلِّ»[1] أي: ليدع لأهله، "وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ" (التوبة : ١٠٣) "يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ"(الأحزاب:٥٦)،"وَصَلَواتِ الرَّسُولِ"(التوبة:٩٩) ، وصَلَاةُ الله للمسلمين هو في التّحقيق: تزكيته إيّاهم. وقال: "أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ"(البقرة:١٥٧) ،

١) الحديث عن أبي هريرة عن النبي صلّى الله عليه وسلم قال: «إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجب، فإن كان مفطرا فليأكل، وإن كان صائما فليصلّ» أخرجه مسلم في النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي برقم (١٤٣١) ، وأحمد في المسند ٣/ ٣٩٢، وانظر: شرح السنة ٦/ ٣٧٥.

ومن الملائكة هي الدّعاء والاستغفار، كما هي من النّاس . قال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِ"(الأحزاب:٥٦) ، والصَّلَاةُ التي هي العبادة المخصوصة، أصلها: الدّعاء، وسمّيت هذه العبادة بها كتسمية الشيء باسم بعض ما يتضمّنه، والصَّلَاةُ من العبادات التي لم تنفكّ شريعة منها، وإن اختلفت صورها بحسب شرع فشرع. ولذلك قال: "إِنَّ الصَّلاةَ كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً "(النساء/ ١٠٣) "[١]

هذا قول الراغب في التأصيل لكلمة الصلاة ، حيث صرح بأصل معناها ، وذكر المعنى الذي تطورت إليه .

ويقول في أصل كلمة الزكاة : وفي مادة (ز ك و) "أصل الزَّكَاةِ: النّموّ الحاصل عن بركة الله تعالى، ويعتبر ذلك بالأمور الدّنيويّة والأخرويّة ، يقال: زَكَا الزّرع يَزْكُو: إذا حصل منه نموّ وبركة. وقوله: "أَيُّها أَزْكى طَعاماً"(الكهف:١٩)إشارة إلى ما يكون حلالا لا يستوخم عقباه، ومنه الزَّكاةُ: لما يخرج الإنسان من حقّ الله تعالى إلى الفقراء، وتسميته بذلك لما يكون فيها من رجاء البركة، أو لتزكية النّفس، أي: تنميتها بالخيرات والبركات، أو لهما جميعا، فإنّ الخيرين موجودان فيها. وقرن الله تعالى الزَّكَاةَ بالصّلاة في القرآن بقوله :"وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ "(البقرة: ٤٣)وبِزَكَاءِ النّفس وطهارتها يصير الإنسان بحيث يستحقّ في الدّنيا الأوصاف المحمودة، وفي الآخرة الأجر والمثوبة. وهو أن يتحرّى الإنسان ما فيه تطهيره، وذلك ينسب تارة إلى العبد لكونه مكتسبا لذلك، نحو: "قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها"(الشمس:٩)"[٢] .

١) المفردات للراغب ص ٤٩٠ ، ٤٩١ .

٢) السابق (ز ك و) ص٣٨٠ ، ٣٨١.

وغير خاف أن هاتين الكلمتين عند إطلاقهما ، يراد بهما الصلاة المعروفة والزكاة المعروفة ، وتوجد علاقة قوية بين المعنى الأصلي لهما ومعنى ما تطورتا إليه من دلالة .

العدة

يقول تعالى : "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ..... ﴿٤٩﴾"

هذه المفردة من الكلمات التي اكتسبت دلالة جديدة كذلك ، حيث إنها من المصطلحات الفقهية ويراد بها المدة التي حددها الفقهاء للمرأة المطلقة أو المتوفى عنها زوجها ؛ لاستبراء رحمها . ولم يكن هذا المعنى معروفا قبل الإسلام .

يقول الفيروزابادي:" وعدَّةُ المرأةِ: أيَّامُ أقْرائِها، وأيَّامُ إحْدادِها على الزَّوْجِ."(١)

ويقول الفيومي: "وَعِدَّةُ الْمَرْأَةِ قِيلَ أَيَّامُ أَقْرَائِهَا مَأْخُوذٌ مِنْ الْعَدِّ وَالْحِسَابِ وَقِيلَ تَرَبُّصُهَا الْمُدَّةَ الْوَاجِبَةَ عَلَيْهَا وَالْجَمْعُ عِدَدٌ مِثْلُ سِدْرَةٍ وَسِدَرٍ"(٢)

وتعتبر كلمة العدة بهذا المعنى من المصطلحات الإسلامية ، لكن المعنى الأصلي للمادة واضح فيها وجلي . فهي مأخوذة من العد والحساب ، كما يقول الفيومي في كلامه السابق.

---

١) القاموس المحيط (ع د د) ص ٢٩٧ .

٢) المصباح المنير : (ع د د) ص ٢ / ٣٩٥ .

الساعة :

يقول تعالى: " يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾"

كلمة الساعة إذا ذكرت مطلقة ، فإن الذهن ينصرف إلى يوم القيامة، واستعملت بهذا المعنى في كتاب الله تعالى في كثير من المواضع ،ومنها هذان الموضعان اللذان معنا في سورة الأحزاب .وهذه الدلالة لم تكن مستعملة قبل الإسلام ، فهي من الأسماء الإسلامية التي اكتسبت دلالة جديدة ، لكنها لم تبعد عن أصل مادتها في الدلالة .

وهذه المفردة يقول ابن فارس في أصل معنى مادتها : "السِّينُ وَالْوَاوُ وَالْعَيْنُ يَدُلُّ عَلَى اسْتِمْرَارِ الشَّيْءِ وَمُضِيِّهِ. مِنْ ذَلِكَ السَّاعَةُ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ. يُقَالُ جَاءَنَا بَعْدَ سَوْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَسُوَاعٍ، أَيْ بَعْدَ هَدْءٍ مِنْهُ. وَذَلِكَ أَنَّهُ شَيْءٌ يَمْضِي وَيَسْتَمِرُّ. وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ عَامَلْتُهُ مُسَاوَعَةً، كَمَا يُقَالُ مُيَاوَمَةً، وَذَلِكَ مِنَ السَّاعَةِ. وَيُقَالُ أَسَعْتُ الْإِبِلَ إِسَاعَةً، وَذَلِكَ إِذَا أَهْمَلْتَهَا حَتَّى تَمُرَّ عَلَى وَجْهِهَا. وَسَاعَتْ فَهِيَ تَسُوعُ. وَمِنْهُ يُقَالُ هُوَ ضَائِعٌ سَائِعٌ. وَنَاقَةٌ مِسْيَاعٌ، وَهِيَ الَّتِي تَذْهَبُ فِي الْمَرْعَى. وَالسِّيَاعُ: الطِّينُ فِيهِ التِّبْنِ"(١)

ويقول الراغب في أصل هذه الكلمة : "السَّاعَةُ: جزء من أجزاء الزّمان، ويعبّر به عن القيامة، قال: "اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ"(القمر:١) ، "يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ" (الأعراف:١٨٧)"وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ" (الزخرف: ٨٥) تشبيها بذلك لسرعة حسابه، كما قال: "وَهُوَ أَسْرَعُ الْحاسِبِينَ" (الأنعام : ٦٢) أو لما نبّه عليه بقوله: "كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَها لَمْ

١) المقاييس لابن فارس (س و ع) ٣ / ١١٦

يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحاها" (النازعات :٤٦)،"لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا ساعَةً مِنْ نَهارٍ"(الأحقاف:٣٥) ، "وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ ما لَبِثُوا غَيْرَ ساعَةٍ"(الروم: ٥٥) فالأولى هي القيامة، والثانية :الوقت القليل من الزمان"[١]

وأيضا نص الفيومي على أصل معناها ، فيقول : " السَّاعَةُ :الْوَقْتُ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، وَالْعَرَبُ تُطْلِقُهَا وَتُرِيدُ بِهَا الْحِينَ وَالْوَقْتَ ، وَإِنْ قَلَّ وَعَلَيْهِ قَوْله تَعَالَى :"لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً" (الأعراف: ٣٤) وَمِنْهُ قَوْلُهُ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – «مَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى» الْحَدِيثَ لَيْسَ الْمُرَادُ السَّاعَةَ الَّتِي يَنْقَسِمُ عَلَيْهَا النَّهَارُ الْقِسْمَةَ الزَّمَانِيَّةَ بَلْ الْمُرَادُ مُطْلَقُ الْوَقْتِ وَهُوَ السَّبْقُ وَإِلَّا لَاقْتَضَى أَنْ يَسْتَوِيَ مَنْ جَاءَ فِي أَوَّلِ السَّاعَةِ الْفَلَكِيَّةِ وَمَنْ جَاءَ فِي آخِرِهَا لِأَنَّهُمَا حَضَرَا فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلْ مَنْ جَاءَ فِي أَوَّلِهَا أَفْضَلُ مِمَّنْ جَاءَ فِي آخِرِهَا وَالْجَمْعُ سَاعَاتٌ وَسَوَاعٍ وَهُوَ مَنْقُوصٌ وَسَاعٌ أَيْضًا."[٢]

وأخيرا : فالتطور الدلالي ظاهرة موجودة في اللغة العربية ، ولا يمكن إنكارها ، لكن ما يميز هذه اللغة : الصفة الاشتقاقية التي اختصت بها اللغة العربية ، والتي تجعل المفردة العربية مهما تغيرت دلالتها إلا أنها لا تبعد عن أصلها الاشتقاقي المعجمي الذي نص عليه أصحاب المعجمات العربية ، الذين أسدوا للجمهور العربي وللغة القرآن أعظم ثروة لغوية تتمثل في ما يعرف بكتب المعجمات العربية .

---

١) المفردات : (س و ع) ص ٤٣٤ .

٢) المصباح المنير للفيومي : (س و ع) ص ١ /٢٩٥.

والذي يتابع هذه الظاهرة في عصرنا الحاضر ، يجد كثيرا من الكلمات طرأ عليها معان كثيرة لم تكن مستعملة من قبل . وخاصة في المصطلحات العلمية التي تستعمل في العلوم الحديثة وغيرها .

وأيضا يتمثل التطور اللغوي في الكلمات التي نواجه بها المخترعات الحديثة مثل كلمات : الهاتف والجوال والمحمول والغسالة والثلاجة والمُبَرّد ... وكلها لها اشتقاق من أصولها ، وتدل على المعنى والوظيفة التي تؤديها تماما . وهذا يعطينا دلالة أكيدة على أن لغتنا العربية مرنة ومطواعة ، ونستطيع أن نواجه بها وبمعطياتها كل ما يواجهنا من اكتشافات واختراعات .

الكلمات التي اكتسبت دلالة جديدة في سورة الأحزاب ، تعطينا إشارة إلى أن اللغة متجددة ، ومن الممكن أن تكتسب الكلمات معاني إضافية بما لا يبعد المفردة عن أصل معناها.

ومن الأمور الهامة التي ينبغي أن يعرفها الدارس للتطور الدلالي : أن المجاز بكل أنواعه له دور كبير في هذا التطور . والمجاز باب واسع من أبواب اللغة العربية ، ومن عظمتها أن هناك علاقات بين المعاني الحقيقية والمجازية يقوم بتوضيحها السياق الذي له دور لا ينكر في التعرف على مدلول المفردة حال تركيبها في الجمل العربية، وسبق أن وقفت مع أثر السياق في التعرف على دلالة الكلمة .

نتائج البحث وتوصياته

بعد دراسة تلك القضايا الدلالية من خلال سورة الأحزاب توصلت إلى عدة نتائج وتوصيات منها .

أولا: الدرس الدلالي للسورة الكريمة أتى بثماره الطيبة حيث إن اختلاف القراءة يؤدي إلى اختلاف الدلالة ، وهذا ظاهر جلي في حوالي أربعة مواضع من السورة الكريمة .

ثانيا : أثبت البحث من خلال الدرس الدلالي دقة اللغة العربية وعظمتها من خلال تحديد دلالة خاصة لكل مفردة لغوية لا تشركها فيها مفردة أخرى ،وخاصة في أسلوب الكتاب المعجز في ألفاظه وأساليبه ومعانيه (القرآن الكريم) ، وهذا توضح من خلال الوقوف مع الفروق الدلالية لمفردات السورة الكريمة .

ثالثا : نظرية السياق قديمة حديثة ، وليست حكرا على الأوروبيين ، وإنما لها وجود محسوس ملموس في التراث العربي ، والمحيط السياقي للمفردة اللغوية له دور كبير في توجيه معناها بما لا يبعد عن المعنى الأصلي الذي تدل عليه المفردة اللغوية ، وهذا تكشف عندما وقفت مع أثر السياق في اختلاف الدلالة .

رابعا : سورة الأحزاب تضمنت كثيرا من الألفاظ التي جرى عليها سنة التغير الدلالي ، مما يثبت أن اللغة ليست جامدة او هامدة وإنما تتفاعل مع الزمن ، وتتطور بتطوره ، فأحيانا تعمم الدلالة أو تخصص أو تنتقل عن طريق المجاز ، ومن عظمة اللغة ودقتها : أن هذا يحدث وتجد أثرا واضحا للمعنى الأصلي للمادة في المفردة التي تطورت دلالتها ، واتضح هذا عند الوقوف مع مبحث التطور الدلالي .

ومن التوصيات التي أوصي بها الباحثين :

أولا : العمل على إقامة معجم كامل للفروق الدلالية بين المفردات العربية ، لأن من ألف في هذا المجال قديما وحديثا لم يكن مستوعبا لمفردات اللغة كلها .

ثانيا : التأكيد على إقامة المعجم التاريخي للغة العربية ، وتكون وظيفته الأساسية تعقب دلالات اللفظة عبر الأساليب والأزمنة .

ثالثا : الأخذ بمعطيات الدرس اللغوي الحديث ونظرياته ، وتطبيقها على اللغة العربية ، حتى نساير الزمن ، ونواكب العصر مع عدم إغفال معطيات التراث ، وأحسب أن هذا البحث قد مزج بين معطيات التراث ومعطيات الدرس اللغوي الحديث .

هذا وأسأل الله – عز وجل – أن ينال بحثي القبول ، وأن يتجاوز عما فيه من زلات ، وأن يجزي كل مطلع عليه خير الجزاء ، جزاء ما بذل في سبيل ذلك . وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين .

ولقد ختمت بـــذا الختـــام بحثـــي وعلى الإلـــه تـــوكلي وثنـــائي
إن كان توفيق فمن رب الـــورى والعجـــز للشـــيطان والأهـــواء
في حينها أدعـــو الـــذي بدعائـــه يمحو الخطا ويزيد في النعماء
ســـبحانك اللهـــم ثـــم بحمـــدك مستغفرا وأتوب مـــن أخطـــائي

أحمد الشناوي السيد حسن
مدرس أصول اللغة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدمياط
جامعة الأزهر

فهرس المراجع

١- الأصوات في اللغة العربية د مصطفى عبد الحفيظ سالم ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م

٢- الأصوات اللغوية د إبراهيم أنيس ، ط / الأنجلو المصرية ، ط / ١٩٩٠ م .

٣- البرهان في تجويد القرآن ، محمد الصادق قمحاوي ، ط : مكتبة السنة ، ١٤٢٤ هـ . ٢٠٠٣ م .

٤- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ، تح :أ محمد علي النجار، ط:/المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي ،القاهرة

٥- تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي(ت: ٣٩٣هـ) تح: أحمد عبد الغفور عطار ط:دار العلم للملايين، بيروت ط الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.

٦- تحفة الأطفال والغلمان في تجويد القرآن: سليمان بن محمد الجمزوري (ت: بعد ١١٩٨هـ) علّق عليها: الشيخ علي محمد الضباع

٧- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه د رمضان عبد التواب ، ط : الحانجي بالقاهرة الثانية ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م.

٨- تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ) ط :دار الحديث – القاهرة، ط:الأولى

٩- التفسير الميسر: لنخبة من أساتذة التفسير ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية ، ط: الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩ م

١٠- حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، للقاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني، أبو محمد الشاطبي (ت٥٩٠هـ) تح: محمد تميم الزعبي ط :مكتبة دار الهدى ودار الغوثاني للدراسات القرآنية ط :الرابعة، ١٤٢٦ هـ .– ٢٠٠٥ م .

١١- دراسات في التجويد والأصوات أ .دعبد الفتاح أبو الفتوح ط: دار البشرى .
١٢- دراسات في التجويد والأصوات اللغوية أ دعبد الحميد محمد أبو سكين ١٩٨٩م.
١٣- دراسات في فقه اللغة أ د / أحمد إبراهيم الجزار ،د . ت.
١٤- دراسات في فقه اللغة، د/ صبحى الصالح – دار العلم للملايين – الأولى – ١٣٧٩هـ– ١٩٦٠م،
١٥- دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر– ط. عالم الكتب ١٩٩٧م . – ١٣١٨هـ .
١٦- علم الأصوات د . كمال بشر ط / دار غريب للطباعة – القاهرة – ٢٠٠٠ م .
١٧- الكتاب لسيبويه– تح. عبدالسلام محمد هارون– ط. مكتبة الخانجي ، بالقاهرة– دار الرفاعي بالرياض، الثانية ١٤٠٢هـ . – ١٩٨٢م .
١٨- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: الثعلبي،(ت: ٤٢٧هـ) تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة/ نظير الساعدي ،ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان .ط: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م
١٩- لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعىالإفريقى (ت: ٧١١هـ) ط: دار صادر – بيروت ط: الثالثة – ١٤١٤ هـ
٢٠- اللغة العربية معناها ومبناها ،د تمام حسان ، ط / عالم الكتب ، الخامسة ١٤٢٧ هـ . – ٢٠٠٦ م .
٢١- اللهجات العربية نشأة وتطوراً. د. عبدالغفار حامد هلال– الثانية ١٤١٤هـ– ١٩٩٣م
٢٢- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني ت.(٣٩٢هـ) ط /.المجلس الأعلى للشئون الإسلامية: ١٤٢٠هـ . ١٩٩٩م .
٢٣- المختصر في أصوات اللغة العربية (دراسة نظرية وتطبيقية) د. محمد حسن جبل ط – مكتبة الآداب – الطبعة الخامسة – ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م

٢٤- المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي تح : فؤاد علي منصور :ط دار الكتب العلمية – بيروت ، الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م
٢٥- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو ٧٧٠هـ) ،ط: المكتبة العلمية – بيروت .
٢٦- المعنى اللغوي: د محمد حسن جبل ط : مكتبة الآداب ط : الثانية : ٢٠٠٩ م
٢٧- المفردات للراغب الأصفهاني ، تح: صفوان عدنان الداودي ط: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت ط /: الأولى – ١٤١٢ هـ .
٢٨- مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ) تح:عبد السلام محمد هارون ط:دار الفكر ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٢٩- مناهج البحث فى اللغة د. تمام حسان ط. الأنجلو المصرية .
٣٠- المنتخب في تفسير القرآن الكريم:للجنة من علماء الأزهر، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر، طبع مؤسسة الأهرام ط:١٨– ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م
٣١- النبر في الدراسات التراثية والعربية المعاصرة د. أحمد رزق السواحلي ط : الأولى ، عام ١٩٩٧ م .
٣٢- النشر في القراءات العشر ،لابن الجزري،،تح: علي محمد الضباع ط:المطبعة التجارية الكبرى.
٣٣- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ،ط: دار الكتاب الإسلامي ،القاهرة.